ميت ما زال حيًا

عنـــوان الكتـــاب: مـــيت مـــا زال حيًا
الموضـــــــوع: روايـــــــــــــة
التـــأليـــــــف: محمـود كمـــــال
مراجعـــة لغويـــة: نـــــدى محمـــــد
إخـــراج فنـــي: محمـــد منصـــور
تصـــميم الغـــلاف: إســـــلام مجاهـــد
رقـــم الإيـــداع: 2020/16637
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-6639-12-6
الناشـــــــــــر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبو العطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

ميت ما زال حيًا

رواية

محمود كمال

دار تويتة للنشر والتوزيع

الإهـــداء

إهدائي الأول:

إلى أمي إللي هي سبب كل خير لي وإني واقف على رِجلي حفظها الله، وإلى الحاجَّة فاطمة التي كانت أُمًّا ثانيةً لي.. والحاجة حياة أسأل الله أن يرحمهم برحمتُه.

وإلى شيخي العزيز الذي علّمني الكثير وكلامه يدخُل القلب مباشرةً وبسببه حَفِظت أجزاء من كتاب الله تعالى الشيخ: سيد أسأل الله أن يُبارك في عُمره.

وإلى أخي العزيز أحمد إللي واقف جنبي وبيساندني ديمًا ربنا يديمك سنّد وظهر لي ويحفظك من أي سؤ.

وإلى رفيق دربي صديقي العزيز محمد داوود، صاحب الجدعنة والمواقف الصعبة إللي بعتبرُه أخ وليس صديق أدامك الله سنّد وظهر لي دايمًا يارب.

وإهدائي الثاني:

إلى مُعلم الناس الخير الميت الذي لا زال حيًا بأعمالِه؛ دكتور إبراهيم الفقي .

وإلى كاتب الإنسانية.. الميت الذي لا زال حيًا بأعمالُه؛ الدكتور أحمد خالد توفيق.

وإلى الرجل الذي كان لا يعرف المستحيل؛ دكتور نبيل فاروق.

وإلى كل شهيد قدم نفسُه فِداء لهذا الوطن، من أجل أن يعيش آخرون بحرية وسلام.

وإهدائي الثالث:

إلى كل غائب ما زال حاضرًا في وجداننا وسيظل حضوره هو سبب أنفاس حياتنا والصمود أمام تحديات الحياة.

وإهدائي الأخير:

إلى نفسي عندما تتوارى في التراب، أسأل الله أن يجعل هذا العمل نافعًا لي بعد موتي، أسألكم وقتها بالدعاء لي بالرحمة، وأن يعفو عني، ويرحمني برحمته.

لا تتعجَّب مما سوف تقرأه بهذه الرواية؛ لأن أحداثها مقتبسة من الواقع

فقط انتبه

لما سوف تراه ينطبق عليك في الحاضر والمستقبل واسعَ جاهدًا لتغييره لأنه ليس لديك وقتٍ كافٍ لتعيش جميع أحداث الحياة، لتحاول فيما بعد تغييرها.

فالوقت حان الآن لتعلّم ما تُريد تغييره وتُغيّره قبل فوات الأوان.

أُعرِّفكم نفسي:

أنا سامح محمد أحمد فؤاد الحسيني، واسم الشهرة سامح الحسيني، أبلغ من العمر سبعة وثلاثون عامًا

أعمل بشركة دعاية وإعلان....

مُتزوج من ثلاثة عشر عامًا ولديَّ من الأبناء: عمر، وسارة، وأنا أعتبرهما هما سبب نجاتي..

لكل شخص مِنَّا أوقات تمنَّى فيها الموت، وقال على نفسه أنه حيّ ولكنه ميت

والحقيقة أن الكلام شيء، وأن تموت بالفعل وتعود مرة أخرى شيء آخر تمامًا.

الذي يُحدِّثك الآن قد لا يكون حيًّا بل ميتًا في نظر الجميع..

أرجو أن لا ترفع حاجبيك، ولا تنظر خلفك، وتحاول أن تراقب أصوات قد تسمعها أُذنك لأنه في الحقيقة، أنت تسمع ما تُريد سماعُه، وتشعر بِما تريد أن تشعُر بِه، فإن شعرت بشيء غريب يحدُث لك فهو قد حدث حقيقة، وإياك أن تُغمض عينيك لأن ما سوف تراه أسوأ بكثير من الحقيقة، ومن الممكن أن يأخُذ روحك لو غفلت لحظة عنه...

قصتي هي أغرب من الخيال، وقد لا تُصدَّق وتقول أنني أكذب عليك، ولكنها حقيقة.. والذي يعيش بِها غير الذي يسمع عنها ويراها، ولأجل ذلك أُريد مِنك أن تُعيرني إنتباهك جيدًا وتحيا معي في هذا التاريخ، هذه أول مرة مُت بها وهمًا ٢٠١٧\١١\٢٧، وثاني مرة مُتُّ بها حقًا ولكن لا زلت حيًا كانت بتاريخ ٢٠١٩\١\٢٧ .

نسيت أن أقول لكم أن الذي ستعيشون معه لحظة بلحظة هذا هو ميت ما زال حيًّا؛

وللعلم أنا حي الآن من أجل أن تصلك أنت رسالة من الله عزوجل، هل تعلم أن اليوم الذي يفكر به الشخص أن يبوح بأسرار عالم المجهول، أو بالأصح عالم الموت، هذا يكون آخر يوم له في هذه الحياة؟ وبالضبط لا بد أن تعلم أن اليوم الذي ستتكلم فيه، وتحكي فستكون آخر أنفاس تلفُظها، وأنت بنفسك شاهدت أُناسًا تكلموا عن الموت، وماتوا بعدها..

فأنا الآن لا يهمني إلا أن أُعلمك الحقيقة كاملة، التي لم ترَها أنت، وقد لا يكون من الممكن أن تراها إلا ومَلَك الموت مُقبِل عليك، ومن أجل ذلك.. قررت أن أموت من أجل أن تعيش أنت؛

تعيش الحقيقة، وتكون لديك بصيرة بكل شيء، وتختار بذات نفسك مصيرك!

ماذا تريد؟؟؟

إعلم عزيزي أن هذه الحياة أحوال، ولا يدوم شيء على نفس الحال..

أنت روح تعيش بِها، وروح تعيش بِك، وروح تسكُن بِها، وروح تسكُن بِك... حتى المكان الذي أنت بداخله الآن بِه روح تسكُنك، وكل مكان تذهب إليه عبارة عن أرواح!!

أقول لك شيء: الكُرسي الذي تجلِس عليه هذا روح، الحائط الذي أمامك هذا روح، المكتب، الأوراق، السيارات التي مِنها فَرحٌ، ومِنها حزين، ومِنها شرير، ومِنها الطيب.....، القلم، الكتاب الذي تمسك بِه الآن هذا روح، الشيء الذي يتوافق معك ولا يزعجك هذا مُشابِه لروحك، والشيء الذي يقف أمامك ويزعجك هذا ضد روحك، مثال أكثر: القلم الذي تُمسك بِه وتكتب.. ترى أقلام تكتب بخط جيد بِها، وأقلام تكتُب بِها عكس ذلك.

كل شيء حولك له عالم آخر وروح بها تحيا وتتكلم، ولكن كل عالم له لُغتهُ الخاصة بِه،

الأهم أن تعرف كيفية التعامل مع كل عالم بلُغتِه، وإياك أن تصبح سبب حُزن لأي روح تحيا معك في هذا العالم؛ لأن وقتها فقط سينقلب كل شيء ضدك.

سأعطيك مثالًا: أحيانًا عند استيقاظك في الصباح وتكون متأخرًا تظل تَسُبّ وتلعن في هذا اليوم، ويصبح كل شيء حولك وكأنه ضدك، وتكتشف أن الملابس لم تُكْوَى، ثم تصيبك العصبية أكثر وتظلّ تصرُخ في مَن حولك، وعند خروجك تصير الطرقات في زحام شديد وتذهب للعمل تجد المدير في إنتظارك، وتأخذ خصم نصف يوم وتجد وكأنَّ اليوم متآمر كُلُّهُ عليك، وكل هذا بسبب أنك أغضبت هذه الأرواح منك فتعمل كلها ضدك.

هل تريد الراحة وأن تصبح أمورك كلها على ما يرام؟

إذن؛

كُن صديق لكل شيء حولك، كُن صديق لنفسك في المقام الأول، وكُن صديق لبيتك، لمكتبك، لملابسك، كُن صديق للحيوانات، وكُن صديق لأفضل رفيق على وجه الأرض؛ القرآن.. ستجد حياتك تغيرت، ولن يُصيبك منهم شيء،

وهذا ما أنا وقعت بِه؛ أنني لم أكن صديق لأي أحد غير شيطاني.. فخسرت كل شيء.

اعلم أن هذه الأسرار التي أقولها لك لن تجد مخلوقًا يُبلغك بِها، لأنهُ لا يوجد مخلوق على وجه الأرض ميت ولكنهُ ما زال حيًّا، وهذا هو أنا.

سنبدأ الحكاية من البداية.. وأرجو أن تعطيني تركيزك جيدًا وإياك أن تخاف؛ لأنه ببساطة الذي سوف تخاف مِنه هو ما سيحدث لك، ويوم أن تجد كل شيء يضحك لك، إياك أن تفرح بذلك وتأخذك الجلالة لأنها قد تكون إشارة النهاية!!

ولا تتعجب من أن تقرأ وترى أشياءًا غالبًا أنت تعيشها، لأن ما ستقرأه جميعنا يعيش به ولكن بطريقته الخاصة.

****

(١)

نظرة واحدة قادرة على تحويل حياتك رأسًا على عقب

فللحب أسرار خفيَّة لا يعلمها إلا مَن وقع أسيرًا بِه

نعم يا صديقي يوجد حُب من نظرة واحدة فقط.

فنظرة واحدة قادرة على أن تجعلك مجنونًا قادرًا على قلب موازين قوانين حياتك.

فلا تسأل كيف

لأن مَن قبلك كانوا لا يعترفون بذلك

حتى أتى اليوم الذي فعلوا ما كانوا به لا يؤمنون.

البداية سنة ٢٠٠٥

دخلت فتاة على الصيدلية لاسترجاع دواء لوالدها المريض بسبب قُرب إنتهاء صلاحيته، ثم وقفت ناظرة للدكتور الصيدلي قائلة:

- لو سمحت يا دكتور، كنت عايزة أرجَّع الدوا ده، لأن صلاحيته قربت تنتهي، ووالدي مش هيستخدمُه دلوقتي لأن لسه إللي عندُه ما خلصش.

نظر إليها الدكتور بحنقةٍ قائلًا:

- طب وأنا المفروض أعمل إيه حضرتك؟ حد قالكم تشتروا الدواء وأنتم عارفين إنه لسه ما خلصش؟

وقبل أن تنطق الفتاة كان قطع كلامهما مَن يُلقي السلام قائلًا:

- السلام عليكم

ردوا جميعًا: وعليكم السلام

ثم أكملت الفتاة قائلة:

- هو إحنا لازم نشتري الدواء لما يخلص ولا إيه يا دكتور؟ بقول لحضرتك الدواء صلاحيته عندك قربت تنتهي، وأنا مش مُجبرة إني آخد دواء من صيدليتك وهو قرب ينتهي، والمفروض إني آخذ دوا يكون قُدَّامه مش أقل من ست شهور، لكن آخد دواء ليه فاضل له شهرين، وأجيبه على الفاضي؟

رد الدكتور عليها قائلًا:

- طيب أستأذن حضرتك هعمل مكالمة لصاحب الصيدلية وأبلَّغهُ.

- طيب مفيش مشكلة، أنا في إنتظار حضرتك.

ثم التفت الدكتور للشاب الذي يقف مُتابع لهم قائلًا:

- حضرتك عايز إيه أجيهولك على السريع عشان ما أعطَّلكش؟
- عايز شريط كيتوفان وكومتريكس لو سمحت.
- تمام

دخل الدكتور ليأتي بالدواء وبينما ظل الشاب محملقًا لعيون الفتاة ذات اللون العسلي الفاتح التي كانت تقف على إستحياء وهي ترتدي عباءة كُحلية اللون ذات زركشة بيضاء.

ثم أتى الدكتور من الداخل وهو معه الدواء المطلوب للشاب وقال له المبلغ المطلوب، وأثناء دفعه الحساب وبانتظار المتبقي، سألته الفتاة قائلة:

- هو في حد عندكم يقدر ييجي البيت عشان يعطي حقنة لوالدي؟
- للأسف ما عندناش الخدمة دي بالصيدلية..

تغيَّر وجه الفتاة بعدها للحزن وقلة الحيلة، وأحذ الشاب المتبقي من الحساب وهو يراقب تعبيراتها وخرج بجسده ولكن ظلَّ قلبه مُعلَّق بشيء ما بالداخل ووقف بالخارج منتظرًا على بُعد.

بعد دقائق من مكالمة الدكتور لصاحب الصيدلية نظر للفتاة قائلًا لها:

- تمام هنرجَّع لحضرتك الدواء وآسفين جدًا على العطلة، ولكن عذرًا إحنا ساعات في ناس بتيجي الصيدلية تعمل حركات مش كويسة ترجَّع دواء وتبدِّلهُ بمُنتهي وحاجات ربنا ما يوريهالك.
- شكرًا ليكم، وربنا يكون في عونكم.

أخذت الفتاة نقود الدواء المرتجع ووضعته في حقيبتها واستدارت للخروج، بينما كان آخر ذو شكل مريب يراقبها بالخارج ثم وهي خارجة من الصيدلية، وجدت مَن يخطف حقيبتها بشدة ليطرحها أرضًا ويركض مسرعًا باتجاه الشاب الذي كان يقف بالصيدلية مراقبًا لها، وبينما هي وقعت على الأرض تبكي قفز الشاب مسرعًا نحو هذا السارق ليعترض طريقه بلكمة على الوجه مصطدمًا بحائط الطريق، ثم ألقى السارق الحقيبة وأخرج من جيبه سكينًا لتُصيب الشاب بجرح خفيف ويفر الآخر هاربًا.

كل هذا الحادث دار بأقل من دقيقة، ليتفاجأ الشاب والفتاة بكل ما حدث، ثم أخذ الشاب الحقيبة المُلقاة على الأرض وأخذ يمشي ببطء نحو الفتاة قائلًا:

- إنتي بخير؟

نظرت له نظرة دهشة وامتنان وتقدير لِما فعلهُ معها، وقامت وهي تُلملم نفسها ووقفت قائلة:

- أنا بخير، لكن أنت إللي مش بخير وفي دم بيسيل مِنّك.

نظر لها وهو لا يصدق ما حدث وكيف حدث، مَن تلك الفتاة التي جعلته يتهوَّر لأول مرة بحياته ويفعل مثل هذا؟ وأخذت الفتاة تقول في نفسها:

- هو ده إزاي حصل؟ أنا في عِلم ولا في حِلم! مين الشخصية دي؟

ثم تحدث الشاب قائلًا لها:

- أنا بخير ما دام إنتي بخير، وده جرح خفيف شوية شاش ومكروكروم وكله هيكون تمام، ولكن تسمحيلي أعرف اسمك؟

نظرت الفتاة باستغراب قائلة لهُ:

- ليه هو أنت ناوي تطلَّع ليا بطاقة؟ ولا قول إنك عملت كل ده علشان في الآخر تتعرف عليّ وتعمل زي الشباب إياهم وجو الأفلام وتفتكرني واحدة سهلة من إياهم تقضي معها وقت، لاء فووووق مش أنا.

قطع الشاب حديثها قائلًا:

- إيه إللي بتعمليه ده كله؟ كل ده علشان بقولك اسمك إيه، يا نهار أبيض! ده أنتِ دماغك من الأفلام إللي بتشوفيها واضح إنها خلِّتك تفترضي إفتراضات في مُخِّك عجيبة.

يا ست الحُسن والجمال أنا عايز أعرف اسمك علشان أندهلك بيه مش أكتر، وأعرف تكون اسمها إيه صاحبة الوجه الملائكي إللي خلّتني لأول مرة في حياتي أعمل حاجة زي كده.

- شوفت بقى؟ علشان تعرف إن غرضك مش كويس بتقول عايز تندهني ليه بقى؟ وإنت تندهني بتاع إيه؟ وهتقول كلام أفلام، وإنك أول مرة، يا عم مُتشكرة على موقف الرجولة إللي عملتُه وآسفة إنك خليتك لأول مرة تبقى راجل.

نظر لها الشاب بتعجُّب قائلًا:

- أنتِ إيه إللي بتقوليه ده؟ لأول مرة أبقى راجل!! لاء بقى ده أنتِي مجنونة، يعني إيه أول مرة أبقى راجل؟ قصدك إني أنا إيه مثلًا؟ ها؟

ابتسمت الفتاة، ثم ضحكت على الموقف وما قالته بدون قصد ثم قالت:

- بجد أنا آسفة يا حضرت والله ما أقصدش، أنا كل صاحباتي بيقولواعليّا إني دبش كده، والله ما أقصد يا سيدي، وعلشان ما ندخُلش في أعراض، ونتوه في تحديد جنسك راجل ولا مش راجل.

نظر لها الشاب رافعًا حاجبيه قائلًا:

- لاء بقى ده أنتِي لمضة بجد!

قاطعته الفتاة قبل أن يكمل كلامه قائلة:

- اسمي أًميمة

ابتسم الشاب قائلًا:

- هو أنا أول مرة بصراحة أقابل الاسم ده، هو أه اسم قديم شوية بس جميل عشانك بس.

نظرت له في كسوف وإبتسامة قائلة:

- أول مرة تقابل الاسم ده ليه؟ هو أنا كشف أسماء قصادك؟!

ضحك الشاب قائلًا:

- مش بقولك إنك أنتِ مصيبة!

ابتسمت في خجل قائلة:

- طب ممكن تسيبني بقى أمشي يا حضرت علشان لو اتأخرت شوية، كمان هتبقى مُصيبة بجد وبابا مستنيني.. ولسه هدوَّر على صيدلية فيها حد يقدر ييجي يعطي والدي الحقنة.

رد عليها الشاب في عفوية قائلًا:

- لاء مش هسيبك

نظرت له الفتاة محدِّقة عينيها، ثم أكمل قائلًا:

- اه قصدي.. ما أقصدش أقول كده.
- أنت بتقول إيه أنت؟
- بقول إني عايز آجي أوصَّلك للبيت.
- لاء بقى ده أنت شكلك كده مجنون، وعايز تاخد حاجة فوق دماغك علشان تفوق.
- يا أميمة ما تفهمنيش غلط، أنا مجنون جايز.. يمكن اتجننت أول ما شوفت عينيكي الجميلة دي، وعايز أفوق أه فعلًا أنا عايز أفوق علشان حاسس إني لأول مرة أحس بإحساس غريب أوي.

أدارت أَميمة وجهها لتُخفي ابتسامتها عنه، ثم حاولت أن تُخفي ابتسامتها واستدارت له قائلة:

- ده أنت شكلك ضربة الوش أثَّرت عليك أنت مش على الحرامي.
- أي حاجة هتقولها أنا مُتقبِّلها، بس بجد أنا عايز أوصلك.
- لاء أنت مجنون! وأنت أصلًا توصلني بتاع إيه؟
- عايز أطَّمن على والدك.

- اه وأنا بقى أقول له إيه؟ جايبة واحد من الشارع معايا يطمن عليك!؟

- لاء هتقوليلُه جاي من الصيدلية.

- رحمتك يا رب بيا من الشخص المجنون ده!

ثم تنحَّت عنه لتذهب، ثم أوقفها قائلًا:

- إنتي مش كنتي بتدوَّري حد يدِّي الحقنة لوالدك؟

- أنا الشخص ده بقى.. إيه رأيك؟

- هو إنت كمان هتعمل نفسك بتدِّي حقن عشان تيجي البيت وخلاص؟ وكمان تجرَّب في والدي! أنت عبيط في دماغك؟

- لاء بقى ما أسمحلكيش تقولي كده لزوجك المستقبلي .

- لاء ده أنت خرَّفت خالص.

ثم قاطعها قائلًا:

- يا فتاتي الجميلة أنا حقيقي بدِّي حقن عشان عندي قريب ليَّا تعبان وأنا إللي بدِّيله الحقنة ومش بقول كده وخلاص، أكيد يعني مش هضُرّ حد وكمان لمّا يبقى غالي عليكي، ممكن بقى تبطلي لماضة وسوء ظن وتسيبيني أمشي معاكي؟

- اممم أنا آسفة إني تطاولت عليك، بس إنت فعلًا شخص غريب، وعلى العموم الحمدلله إنك طلعت بتدِّي حقن لأن الحقنة دي مهمة أوي لبابا، ولو كده بقى إمشي ورايا من بعيد علشان محدش يفهم غلط، ولما أدخل البيت بعديها تبقى تدخل، وتخبَّط على الباب.. إحنا الدور الأرضي الشقة إللي على اليمين، سلام يا مجنون.

ثم أدارت نفسها، وخطت خطواتها وهي تبتسم فرحًا ولا تصدق هل كل هذا حقيقي، أم حُلم سينتهي بكابوس.

نظر لها الشاب وهي تخطو خطواتها قائلًا:

- على فكرة اسمي سامح علشان باباكِ لو سألك يعني تبقي عارفة اسم المُمّرض إللي جاي، وأنا وراكِي أهو.. إوعي تتوّهيني.. أموت فيها.

عاد سامح من شروده، وهو يبتسم لأميمة، وهو على كوشة الفرح هامسًا لها في أذنها قائلًا:

- بحبك يا مجنونة.

نظرت له هي أيضًا، وهي تبتسم قائلة:

- وأنا كمان بموت فيك، ياللي مِنك إتعلمت الجنان، ياللّي غيَّرت حياتي كلها في ثانية، بجد النهاردة أسعد يوم في حياتي، كان نفسي أوي بابا يكون موجود في يوم زي ده، مش مصدقة إنهُ سابني من سنة واحدة بس، وكأنهم سنين.

- ربنا يرحمه يا حبيبتي.. باباكِي ده من أفضل الناس إللي اتشرفت بيهم، ما أنساش إنه هو إللي طمّني، وقاللي إللي يقف مع واحدة ما يعرفهاش، ويعمل كده ده إنسان أكون مطّمن على بنتي وهي معاه، وما أنساش إني كنت داخل خايف وأنا بتكلم معاه ولأني قولت ممكن يطردني ويعمل فيكِي حاجة، ووقتها قاللي يابني أنت خايف ليه كده؟ إوعى تفتكر إني أب غبي، علشان أضيَّع بنتي زي إللي بيرفضوا إللي جاي وطالب الحلال وبعديها يتصدموا إن بنتهم وقعت في أي حاجة غلط تغضب ربنا، وبعدين

إنت واحد جاي البيت من بابهُ، يبقى إنت من حقك عليا إني أشيلك فوق راسي من فوق.

بجد يا أميمة أبوكِ عُمري ما هنساه، وربنا يقدّرني وأحفظك وأشيلك في عنيا.

دخل عليهما سامي مُقاطعًا حديثهما قائلًا:

- أخويا حبيبي أخيرًا هفرح فيك.
- والله لو دي فرحة فيَا فهي أجمل فرحة في حياتي.
- ربنا يسعدك يا رب ويجعل أيامكم جميلة دايمًا، ولمّا نشوف بقى هتفضل كده على طول ولا بعد الجواز هنشوف واحد تاني.
- لاء إنسى، مش أنا إللي أتغيَّر.. أنا حياتي غير أي حد.
- كلهم بيقولوا كده في الأول يا أخي.

دخل عليهم الحاج والدهم ومعهُ والدتهما قائلًا:

- بقى قاعدين تتودودوا وسايبنَّا كده.. إيه مش هتهيصوا بقى كده؟

قام سامح من مكانه مقبّلًا يد والدهُ ووالدتهُ قائلًا:

- وهو إحنا ينفع نسيبكم برضو؟ ده أنتم الخير والبركة كلها يا حاج أنت وأمي.

نظرت له أمُّه قائلة:

- ماشي يا بكَّاش أنت.. ربنا يسعدك يا رب، وخلّي بالك من عروستك، عارف لو زعلتها أنا إللي هشدّ ودنك.

ثم قامت أميمة وأخذت حماتها بالحضن قائلة:

- ربنا يباركلنا فيكِي، والله أنتِ أجمل حماة في الدنيا دي.
- ربنا يسعدكوا يا بنتي

ثم لحظات دخلت عليهم أم أَميمة قائلة:

- إيه يا أُمّ سامح أنا حاسة إنك بقيتِي أَمها وأنا اتركنت على الرف.. ينفع كده؟
- لاء طبعا ده أنتِي الأصل يا أم أميمة
- أنا بهزر معاكي، ده أنا مطمنة عليها علشان بجد مع ناس زيكم أصيلة، وابنك ربنا يكرمه زي ابني بالظبط، ربنا يباركلهم يا رب همّا الإتنين ويهدّي سِرهم.

قالوا جميعا في نفس واحد:

- آمين يا رب

ثم سمعوا جميعهم أغنية "النهاردة فرحي يا جدعان"والتي تم صدورها منذ أيام، وكانت أول ما يُبدَأ بِها في الأفراح، وتحوَّلت قاعة الفرح لمكان للرقص، أخذ سامي يد أخيه ليرقُص معه، وقبل أن يقوم جاءت البنات، ليأخذن أميمة لترقص هي الأُخرى، ولكن مانع سامح أن تقوم أميمة لترقص، وقال لها:

- ما ينفعش إن زوجتي حبيبتي تقوم ترقص.
- ليه بس يا حبيبي؟ ده فرح.. يعني مرة في العمر.
- أميمة النقاش في النقطة دي مرفوض، مش أنا إللي أخلِّي زوجتي ترقص قُدام الناس والعيون عليها، ليه شايفاني خرونج ولا إيه؟ عايزة تُرقصي إرقصي في البيت، إن شاء الله لكن هنا كله على بعض سايح ما

ينفعش، لو في مكان وكنتوا بنات مع بعضكم كنت أقولك عيشي حياتك وارقصي.

- إيه إللي بتقوله ده يا سامح؟ عيب.
- عيب إيه يا هبلة؟! أنا جوزك.
- ماشي يا حبيبي إللي أنت شايفه خلاص، وأنت فعلًا صح مش هقدر أناقش في غلط يعني.

ثم قام سامح مع أخوه سامي وأخذوا جميعهم يرقصون على أغنية "النهاردة فرحي يا جدعان عايزكله يبقى تمام".

بينما جلست أميمة مشاهدة لزوجها الذي يرقص مع أخيه وأصدقائه.

****

(٢)

لماذا تُغيّرنا الحياة وتجعلنا ليس كما كُنا في سابق عهدنا؟

هل السبب ضغوط الحياة والمسؤوليات التي تقع على عاتقنا؟

أم السبب في أنفُسنا ذاتها؟؟

أقول:

أنهُ من الأفضل أن لا نحكم على الحياة وأن لا نتعاهد على أشياء لم نعرف ماهيتها ماذا ستكون؛ حتى لا نقع في فخ عدم الوفاء بكلماتنا.

سنة ٢٠١٧

جلست أُميمة مرتدية إسدالها الأسود المُحبَّب لها على كرسي التسريحة المقابلة، لسرير نومها الذي ينام عليه زوجها سامح بعد أن صلَّت الفجر حاضر، وهي بالطبع حاولت أن تُيقظ سامح، ولكن لا حياة لمَن تنادي.. فهو غارق بالنوم، وكيف لمَن يخرج في الثامنة صباحًا ولا يعود إلا في الحادية عشر مساءً أن لا يأخذه النوم العميق!، فأخذت تتأمله وهو نائم...

وتتذكر أيام الزواج الأولى أجمل أيام بالنسبة لها، فجلست تتذكر كيف كان رومانسيًا لا يهمُّهُ سوى إسعادها فقط، ولكن الحال تبدَّل بعد السنة الثانية، فموت الحاج محمد الحُسيني وبعدهُ زوجته أم سامح أثَّر كثيرًا في نفسية سامح، وبعد الإنجاب أصبح الإهتمام معدوم بالمرة، فهي الآن تتحسَّر على الحالة التي وصلت لها، من المشقة والروتين وعدم إهتمامه بها حتى قالت في نفسها أنَّهُ أصبح لا يحبها.

وأكثر من مرة فكرت أن تطلُب الطلاق، ولكن تتراجع بسبب أبناءها عُمر وسارة، فـهُم الآن (عمر) اثني عشر عامًا، و(سارة) عشرة سنوات، عادت أميمة من شرودها، ونظرت يمينها على الساعة المُعلَّقة أعلى الحائط الأزرق السماوي التي اختارتها بعناية يوم تجهيز شقة عُرسها قائلة:

- يا نهار أبيض! الساعة سبعة الصبح!

قامت أميمة من على الكرسي، ووقفت بجوار السرير المُلقى عليه سامح، ونادت بصوت هادئ قائلة:

– سامح يا سامح..... سامح يا حبيبي قوم علشان ما تتأخرش على الشغل.

ولكن جاءها الرد عكس المتوقع؛

– خخخخخخخخخخ

اعتدلت أُميمة في وقفتها، وأمسكت على يديها، وبرَّقت عينيها بغيظ، وبصوت عالٍ قائلة:

– سااااااااااااااااااااامح قووووووووم، الشغل قووووووووووووووم يا سااااااااااامح

فزَّ سامح منتفضًا من مكانه وفتح عينيه بخضَّة قائلًا:

- يخرب بيت صوتك، وإللي يقولك صحِّيني، في حد يفزع حد كده يا وليّة؟

قاطعته بشدة قائلة:

- بتقوللي أنا وليّة؟ يا نهارك مش فايت!!
- ما هو لما تعملي كده تبقى وليّة وستين وليّة، دي طريقة؟!
- ما أنا عمَّالة أصحِّيك براحة، وأنت مفيش إحساس، ما بتجيش إلا بالطريقة دي.. أعملِّك إيه؟ قوم يلّا عقبال ما أصحِّي العيال..

أدارت أميمة نفسها للخروج بخطوات بطيئة، فهمس سامح قائلًا:

- ست عجيبة! فين أيام ما كانش ليها صوت أصلًا..!

سمعت أميمة همس سامح وهي خارجة فتراجعت، واستدارت ونظرت له في غلٍّ محدّقة عينيها قائلة:

- بتقول إيه يا حبيبي؟

سَعَل سامح سُعال خفيف قائلًا:

- هو أنا قولت حاجة حبيبتي؟ ولا حاجة خالص.

****

وقف سامح أمام باب الشقة، وهو يرتدي البدلة السوداء، ومعها القميص الرصاصي بعد أن قام بتسريح شعره الناعم ذا اللون الكستنائي للوراء متأفِّفًا لانتظاره لسارة وعُمر لإيصالهما للمدرسة في طريقه، ويعلم أنهما سبب تأخيره كل يوم، ثم نظر إلى الساعة التي يرتديها والتفت قائلًا:

- يا أميمة حرام عليكِ، أخَّرتيني يللا بسرعة حضَّريهم.

جاءت أميمة وخلفها سارة وعمر وهما يرتديان زي المدرسة الكحلي، ويحملان شنطة مدرستهم، قائلة:

- خلاص أهُم جِهزوا أهُم، إتفضل.

أخذت سارة تصرخ قائلة:

- يلّا يا بابا خلاص خلصنا، إيه كل يوم تسربعنا كده؟ وإمبارح نسيت الساندوتشات بسببك وفضلت قاعدة جعانة.

نظر لها سامح في تعجَّب قائلًا:

- ماشي يا لمضة هانم يلّا بينا.

ثم نظر لعُمر قائلًا:

- وأنت أخدت الساندوتشات؟

نظر له عُمر، وهو يضع يداه في جيبه قائلًا:

- ساندوتشات إيه يا بابا؟ أنا كبرت على الجو ده.

تدخَّلت أميمة قائلة:

- كِبرت كمان؟! طب يلّا يا حبيبي إنزلوا مع بابا لأحسن ما أضمنش كلمة زيادة يسِيبكوا ويخليني أنا أنزل.

نظر لها سامح في حنقة قائلًا:

- ما هو ده إللي هيحصل بعد كده بالضبط.

ضغطت أميمة على أسنانها، وكتمت ما بداخلها لأنها تعلم أنها لو انفجرت في سامح مِن بعد عدم تحمُّلهُ أي مسؤولية من الممكن أن يحدث كوارث، وهي لا تُريد أن تجعل الأولاد يشاهدوا شيئًا من مشاكلهما أمامهم.

****

سار سامح بسيارتهُ بعد أن أوصل الأولاد للمدرسة، ونظر للطريق باستياء على ما بِه من زحام، وكمٍّ هائل سيارات تكاد أن تكون فوق بعضها البعض، ثم نظر لساعته، فوجدها الآن في تمام التاسعة، ثم قال في نفسه وهو يقود سيارتهُ:

- هو يوم باين من أوّلِهُ، أدينا إتأخرنا على الشغل.

فظلَّ يضرب كلاكس، ويجهر بصوته في مَن يقف أمامه ويطرق على الدريكسون في عصبية قائلًا:

- يلّا يا ولاااد التيت عندنا شغل، حاجة تقرف!

وبعد صراع مع الطريق وضرباتُه للدريكسون الذي لم يكن لهُ أي ذنب في شيء إلا أنَّه في خِدمته يُحرّكهُ كيفما يريد.

وصل شركته التي هي من أكبر شركات الدعاية والإعلان في مصر، وإذ به وهو داخل مقر الشركة اصطدم بمدير الشركة في وجهه؛ المهندس (عماد السيوطي)، وعلى وجهه علامات الغضب قائلًا له:

- أنت شرَّفت يا أستاذ سامح؟ ما لسه بدري! بقى كل الموظفين بقالهم ساعة على مكاتبهم، وإنت لسه جاي؟

- يا باشمهندس عماد الطريق صعب جدًا، وغصب عني هعمل إيه يعني؟

- ولا حاجة يا أستاذ سامح، خصم نص يوم بس تأخير علشان بعد كده تخلّي بالك إن الطريق هيكون زحمة، وتنزل بدري.

نظر له سامح بغضب ونظرة تحدِّي ثم تركه ودخل المكتب وهو في قمّة عصبيته رغم إن المكتب واللاب توب والكراسي لونها أبيض، إلا أنها لم تُهدئ مِمَّا بداخل سامح.

جاء حسن مُسرعًا لتهدئة صديقه سامح، فهو صديق منذ عشر سنوات لسامح، يعرف عنه ما لا يعرفه الآخرون، ورغم أن حسن متزوج أيضًا لكنه مُلتزم بمواعيده، فهو حتى الآن لم يرزُقه الله بأولاد وحياته مستقرة، ومُرتَّبة أكثر من سامح وباله طويل، على عكس سامح الذي تتملَّكهُ الضغوطات، وتؤثر عليه وتتملكه العصبية الزائدة، وأقل شيء ينرفزه.

نظر له حسن وهو على مقربة من سامح قائلًا:

- روق يا سامح بس كده، ما أنت عارف باشمهندس عماد، هو دايمًا كده معاملته مع الكل زفت، والكل بيدعي عليه ومفيش حاجة بتأثَّر فيه.

- يا حسن أنا على آخري، وربنا يعلم أنا جاي إزاي... والأولاد آخروني، ده أنا كنت هتخانق مع أُميمة بسبب تأخيرهم ليا، وقولت لها بعد كده إنتي تبقى توصَّليهم، هعمل إيه بس؟ الواحد خلاص بقى طهقان من كل حاجة، بنحت في الصخر وبستحمل كلام يحرق الدم علشان الجنيه علشان ما أخلِّيش أُميمة ولا الأولاد محتاجين لحاجة، وعلشان مستقبلهم بعد عمر طويل، وهما ولا في دماغهم كل ده، فاكريني بمزاجي، حاجة تقصَّر العمر.

- ما تقولش كده بس وإستهدى بالله، وأنا هبلِّغ الساعي يعمل لك قهوة إنما إيه.. تعدل مزاجك كده، يا راجل ده إحنا يومنا طويل لسه، من أولها كده؟ ده إحنا نموت.

- على رأيك.. هي مش طالبة العملية موت أكتر، كده كده إحنا عايشين ميتين.. يبقى نعدل مزاجنا، ونطنّش لأي حاجة تعكّر يومنا.

****

جلس حسن على مكتبه بعدما أفرغ سامح كل ما بداخله من غضب، وأمسك بالتليفون الذي تركه عندما وجد صديقه في قمة غضبه، ووجد ثلاث مكالمات لم يردّ عليها من زوجته (إيمان عاشور)، فهي زوجته منذ عدة سنوات من بعد قصة حب فاقت الحدود، ضغط على الإتصال بها، ثم بعد أن ضغطت على الزر الأخضر تفوَّه قائلًا:

- قبل ما تقولي أي كلمة عايز أقولك حبيبة قلبي وحشتيني جدًاااا

- يا سلام!! أيوة بقى خدني بالصوت علشان تداري مصيبتك إني كلمتك تلات مرات وما تردش عليا.

- وهو أنا أقدر يا حبيبتي أشوف مكالمتك وما أردّش، أنا والله نسيت الموبايل على المكتب، ولأني كنت قومت أشوف سامح لأنه كان متضايق شوية.

- هو دايمًا صاحبك ده في كل حاجة تحصل كده؟

- ما إنتي عارفة لازم كل يوم يحضر متأخر شوية ويُلطُش مع المدير كده.

- ماشي يا حبيبي، أنا كنت بس بطمن عليك، وأقولك تبقي تفتكرني

- وهو أنا نسيتك علشان أفتكرك يا حبيبتي؟ ده أنا لو نسيتك لحظة أموت، ده أنتِي روح بعيش بيها، المهم طمنيني إنتِي عاملة إيه؟

- الحمد لله.. صداع كل يوم بس مزودها شوية معايا

- ما قولتلك أودَّيكي لدكتور نشوف إيه الصداع ده
- وهو في حد يروح لدكتور علشان صداع؟ بس يا حبيبي روَّق كده، وبعدين ده بييجي ويروح عادي يعني تلاقيه إرهاق.
- طب خلي بالك من نفسك يا حبيبتي.

****

أغلقت إيمان المكالمة مع حسن، وجلست على الأريكة التي في صالة منزلهم، وضغطت على زر التسجيل لتعاود سماعها لأُغنية أم كلثوم والتي تقول بها:

يا سلام على الدنيا وحلاوتها في عيون العشاق
يا سلام يا سلام وأنا خدني الحب لقيتني بحب
لقيتني بحب، وأدوب في الحب
اه أدوب في الحب، وصبح وليل، وليل على بابه.
ياللي مَليت بالحب حياتي أهدي حياتي إليكِ

ابتسمت إيمان و رجعت بالذاكرة لتتذكر أجمل أيامها، عندما سافرا إلى الإسكندرية ليقضيا شهر العسل، وبعد أن دخلا الشقة التي استأجراها على البحر بميامي جلسا سويًّا، ثم نظر لها حسن في ابتسامة وسعادة قائلًا:

- دلوقتي بس أنا أسعد إنسان في الدنيا، اه إحنا إتجوزنا عن قصة حب عجيبة، فضلت آراقبك خمس سنين من بعيد لبعيد وأبُص عليكِ

وأبتسم وإنتي كمان كُنتِ بتبتسمي، كُنت بفضل أدعي تكوني من نصيبي، كُنا اتنين بيحبوا بعض أوي في صمت، وما قالوش لبعض حتى بحبك علشان يستنوا اللحظة إللي يقولوها بدون أي خوف، وبدون أي غضب من ربنا عليهم، دلوقتي بس أنا أقدر اقولها بعلو صوتي؛ يا إيمان إني بحببببببببك أوي.

ابتسمت إيمان في خجل ثم قالت له:

- وأنا كمان كُنت بدعي إنك تكون من نصيبي، كنت بشوف فيك بابا إللي ما عاشرتهوش وقت طويل، وأنا عايزة أعترف إني بحبك وبموت فيك كمان يا حسن، ربنا يحفظك ليا يا رب ويجعل يومي قبل يومك لأني مقدرش أشوف فيك أي مكروه.

- بعد الشر عليكي حبيبتي ربنا يحفظك ليّا وتملي عليّا حياتي، ها بقى.. إيه هنفضل مقضينها كلام؟ مش يلّا

نظرت له إيمان باستغراب ودهشة قائلة:

- يلّا إيه!؟؟

- هو إيه إللي يلّا إيه! يلّا كده بقى زي أي إتنين متجوزين عادي يعني

- امممممم مش فاهمة! مش إحنا إتجوزنا خلاص وهنعيش مع بعض عادي؟

- اه يا حبيبتي بس في حاجة لازم تحصل علشان منها بنجيب أولاد بقى وكده.

- مش هُما بييجوا عادي من بعد جوازنا؟

نظر لها حسن باستغراب سائلًا:

- هو إنتي كده بجد ولا بتهزري!؟؟

نظرت له إيمان ببراءة طفولية قائلة:

- مش فاهماك بجد! أنت غريب ليه؟ وبتقول لوغاريتمات

- لاء ده إنتي بجد ميييح خالص، وأهو علشان كده أنا حبيتك أوي ولأنك مش زي كل البنات بتوع الزمن ده الجريئة في كل حاجة، تعالي بقى ندخل الأوضة دي، وأنا بقى هفهِّمك كل حاجة، ها موافقة تفهمي؟

- طبعًا أنا معاك في أي حاجة.. ما هو أنت حبيبي وأخويا، وصديقي وأبويا كمان.

ابتسم لها قائلًا:

- وإنتي صاحبتي وأمي وبنتي وكل حاجة ليا، ربنا ما يحرمني منك، ووعد عليّا يا إيمان أعيش علشان أسعدك وبس.

عادت إيمان من شرودها وهي تبتسم وتضحك بشدة على إنها كانت مثل الأطفال لا تعي أي شيء وعلى أن الله رزقها بِمَن عوَّضها عن كل شيء، وظلت تسمع أُم كلثوم وهي تقول:

يَالليِ مَليت بالحُب حياتي أهدي حياتي إليك

روحي قلبي عقلي حُبي كُلي مِلك إديك

صوتك، نظراتك، همساتك.. شيء مش معقول شيء خلّىَ الدنيا زهور على طول وشموع على طول الله يا حبيبي على حبك وهنايا معاك الله يا حبيبي الله الله.

ولا دمعت عين جرحت قلبي ولا قوله اه ما بقولش في حبك غير الله الله.

****

استيقظ سامي على أذان الظهر، ونظر باشمئزاز لزوجته نوال التي ما زالت نائمة بجانبه، ودار في عقله حوار قائلًا:

- إزاي دي اتجوزتها نفسي أعرف، فعلًا كان عندك حق يا أبويا يوم ما قولت ليا: يا سامي.. الحب مش كل حاجة، في حاجات بعد الجواز أهم؛ إنك ترتاح، ده أهم من الحب، إنك تلاقي واحدة بتخاف عليك ده بحب الدنيا كلها

الحب مش كلام بيتقال على الملأ وخلاص

الحب فعل، إخلاص، أمانة، مودة، رحمة، إللي بيحبك بيعيش معاك في كل ظروفك وأوضاعك وهو سعيد مش بيصطنع السعادة.

- اه و الله يابا كان عندك حق، دي واحدة مش بيهمَّها إلا نفسها وراحتها وبس،
صدق إللي قال مراية الحب عميا.

نظر سامي لزوجته قائلًا بصوت عالٍ:

- مش ناوية تقومي يا هانم ولا إيه؟
ردَّت عليه نوال وهي في حالة بين النوم واليقظة قائلة:

- سِبني أنام شوية بس

- نامت عليكِ حيطة، قووووومي إحنا بعد الظهر، إنتي إيه؟ ما بتحسيش إن في كائن اسمه زوجك ليه حقوق إنه يلاقي حاجة يفطر بيها والمفروض إنك إنتي إللي تصحيه مش هو إللي يصحيكي!

فتحت نوال عينيها، وانتبهت وسندت ظهرها على السرير، ونظرت لسامي قائلة:

- يعني أنا بستناك لغاية ما تقفل المحل بالليل، وترجع ليا الساعة إتنين وش الفجر ومش عايز تهنيني بالنومة؟ ده إيه الجبروت ده!

- والله ما حد عنده جبروت غيرك يا شيخة، على أساس إنك قاعدة طول اليوم بتعملي إيه؟ محمد ابنك وكبر وبقى في جامعة، وأنتِ مالكيش إلا في التليفزيون والقاعدة مع الستات تنمُّوا على خلق الله، والبيت ولا في دماغك حاجة تانية، بلا هم وغم.

- ماشي يا سامي بقى هو أنا بقى كده في نظرك؟ مفيش أي تقدير؟ طيب أنا هكمل نوم وشوف مين هيفطرك؟

- وهو أنا عاجز ولا عاجز؟ معرفش أفطر نفسي؟ نامي يا ست هانم نامي.. بس في يوم هاخد حقي مِنك وهتعرفي وقتها مين إللي بيفتري على التاني.

ثم قام سامي غاضبًا ليُجهِّز ملابسه، ليذهب لمحلِه.

****

وقفت أميمة مرتدية العباءة السوداء أمام مدرسة الأولاد في عِز الظهيرة تنتظر الأولاد، ثم بعد عدة دقائق خرجت أفواج من التلاميذ من المدرسة، ثم لمحت عُمر وسارة وهما ممسكين بأيدي بعضهما البعض من بين الأطفال الذين يندفعون للخارج، ثم دخلت عليهم أميمة فاردة ذراعيها وهما أسرعا إليها أول أن رأوها واقفة لهم، واحتضنتهم بقوة ثم قالت:

- حبايبي عملتوا إيه النهاردة؟

رد عُمر عليها قبل سارة قائلًا:

- جبت إمتياز في إمتحان الشهر يا ماما، والأبلة إدتني نجوم كتير، وبسكوت هدية.

قاطعته سارة، وهي تشد عباءة أمها لتلفت نظرها إليها قائلة:

- وأنا كمان يا ماما الأبلة خلّت الفصل كله يسقّف ليا على درجاتي.. مفيش غلطة واحدة وإديتني بنبوني كمان.

نظرت لهم أميمة، وهي تبتسم ابتسامة ظهرت جميع أسنانها منها وقالت:

- أنتم أغلى ما ليا والله. وعلشان أنتم فرَّحتوني بالأخبار الجميلة دي هاجيبلكم الآيس كريم إللي بتحبوه....

ردَّا في نفس واحد قائلين:

- هيييييييييييييه

وقف كل منهما أمام محل الآيس كريم الذي يقع على ناصية شارع مدرستهما، يأكل ويستمتع بالطعم اللذيذ، وإذ بهم بدون سابق إنذار يجثو عليهم رجل عجوز ذو ملابس ممزقة قائلًا لأُميمة:

- حاجة لله.. عايز أكل جعان ربنا يحفظهملك.

تبسمت أميمة ثم أدخلت يدها في حقيبتها، ثم أخرجت نقود، وأعطت جزء لعُمر وجزء لسارة ثم قالت لهم:

- كل واحد فيكم يعطي للراجل الغلبان ده الفلوس إللي إديتهالهُ.

ذهبا سويًا وأعطيا ما في أيديهم للرجل العجوز، ثم تفوَّه قائلًا:

- ربنا يُستُرِك دنيا وآخرة ويكرم لك أولادك ويحفظهم يا رب.

ثم عادا، ووقفت سارة متسائلة:

- إحنا ليه إدينا الراجل ده فلوس وإحنا ما نعرفهوش يا ماما؟

- علشان يا حبيبتي رسولنا الكريم (ص) وربنا قالِّنا لو شوفنا محتاج لازم ندِّيلهُ، ونتصدق لأن الصدقة دي أعظم حاجة في الدنيا وحسنات كتير، وإحنا أصلًا الفلوس إللي بنطلَّعها هي أصلًا مِلك لربنا، فلازم نعطي المحتاج، ولأن لما بنطلّع لله ربنا بيزُدُّه لينا أضعاف ويعلِّينا درجات في الجنة.

- ياه يا ماما أنا عمرى ما هشوف محتاج وما أساعدهوش خالص، أنا عايزة أكون في أعلى درجات الجنة علشان آكل آيس كريم، ثم أردف عمر قائلًا:

- وأنا كمان يا ماما.

- ربنا يحفظكم يا حبايبي،

ودايمًا إعرفوا إن الخير هو إللي باقي للإنسان وبس.

****

(٣)

يردِّدون دائمًا كلمات الإشتياق والإحتياج لنا

ونحن لا نُلقي لهم بالًا ولا نفهم المغزى،

إلا بعد فوات الأوان...

هكذا الورود تذبل عندما لا تجد مَن يرويها، ويعتني بِها.

جلست أُميمة بعد أن نيَّمت الأطفال وهي تفكر مع نفسها في حالها، ووحدتها التي تشعُر بِها بسبب عدم إهتمام سامح لها، ثم أمسكت بقلبها وحاولت أن تلتقط أنفاسها بصعوبة، فهي تشعر من حين لآخر بنغزة في قلبها ولا تعلم ما السبب لهذا.

أمسكت أميمة بالتليفون، ثم اتصلت بسامح..

سمِع سامح رنين هاتفه على المكتب ثم أخذه ونظر له قائلًا في نفسه:

"يا رب خير.. عايزة إيه دي دلوقتي؟"،

ثم رد قائلًا:

- ألو
- أيوة يا حبيبي عامل إيه؟ وحشتني.
- وده وقته برضو يا أُميمة؟ أنا في الشغل وإنتي فايقة ورايقة.
- أنا بتصل بيك علشان أقولك لو تحاول تيجي بدري شوية علشان حاسة بتعب في قلبي، ومش عارفة من إيه؟
- سلامة قلبك، تعب إيه بس؟ فُكِّك من الهواجس إللي عندك دي.
- بقولك تعبانة تقولي هواجس؟! الله يسامحك.
- ربنا يسهِّل يا أُميمة، وهبقى أودِّيكي لدكتور.. حاجة تاني.
- شكرًا يا سامح مش عايزة حاجة، كتر خيرك.. سلام.
- سلام

ألقى سامح التليفون على المكتب قائلًا:

- حاجة تطهق، وكلام نسوان فاضي.

- أغلقت أُميمة الهاتف بعد أن أنهت مكالمتها مع سامح، وانهالت دموعها على خديها من مجافاة سامح لها، وأخذت تتفوّه بكلام قائلة:

- يا رب أنا تعبت من دي حياة، بجد ليه سامح بيعمل معايا كده مع إني بعمل أي حاجة علشان أسعده! ده المقابل لِحُبي ليه.

ثم أخذت نفسها، وأمسكت بقلبها بشدة من الوجع الذي تشعُر بِه، ثم أردفت قائلة:

- ما هو أنا إنسانة، ولازم أحس بألم من تجاهل زوجي ليا، وعارفة يا رب إني ما ينفعش أحب حد أكتر منك وكلام الشيوخ إللي بيقولوه، وأنت فوق الدنيا كلها يا رب،

بس أنا بشر وغصب عني بتعب، ولأن النفس ميَّالة دايمًا لرفيق ليها يهتم بيها، والدليل إن سيدنا آدم لم يجلس وحيدًا وخُلقت حواء لتكون بجانبه، ويكون بجانبها. فالحياة مشاركة من الطرفين، ومش من طرف واحد بس، وبدون الحب مكنش هيكون فيه حياة أصلًا.

****

في منزل حسن مساءً..

في تمام الساعة الحادية عشر مساءً، وبعد رجوع حسن من عملِه وبعدما أخذ حمام دافئ ليغسل ضغوط اليوم بأكملها، جلس حسن في البلكونة الخاصة بمنزله على كُرسيه الهزَّاز ذي اللون البني، وأمامه منضدة صغيرة مدورة، وبالمقابل كرسي هزاز أيضًا ويحاوطه الزرع من كل جانب، فهو عاشق للزرع، ومحب للطبيعة والتأمل، ثم لحظات وجاءت رفيقة دربه إيمان وهي تحمل القهوة الخاصة به وبِها أيضًا، ووضعتها على المنضدة،

وجلست بالمقابل له ليتهامسا سويًا، ثم أخذ حسن يغمض عينيه، ويشُم رائحة القهوة التي يتلذَّذ بها قائلًا:

- تسلم إيديكِ يا حبيبتي.
- الله يسلمك يا حبيبي.

ثم أخذت إيمان تنظُر لحسن نظرة إشتياق، وقالت:

- عارف يا حسن إللي بيهوّن عليا غيابك طول اليوم إيه؟
- إيه يا حبيبتي؟
- إني لما بحتاجك بلاقيك، وكفاية إنك بترجع في عز تعبك وبتبقى نفسك تنام، وتفضي نفسك نص ساعة مخصوص تقعد معايا نشرب القهوة، بجد رغم إننا لحد دلوقتي ربنا ما رزقناش بأولاد بس بجد أنت مالي عليّا كل حياتي ومعوضني عن الدنيا كلها.

نظر لها حسن وهو مُبتسم بكل أريحية وحب قائلًا:

- يا حبيبتي، ولو أنا ما فضضِّتش نفسي ليكي يبقى مين يفضِّي نفسه؟ ده أنتي إللي كُنتي دايمًا بحلم بيها، وإللي طلعت بيها من الدنيا، ربنا يحفظك ليا، وزي ما إحنا متجمعين في الدنيا يا رب نتجمع بإذن الله في الجنة.. وعشان نتجمع في الجنة يلّا بينا على موعد مع الجنة، يلا نصلى ركعتين قيام الليل إللي إحنا متعودين عليها قبل ما ننام.

ابتسمت له وقالت:

- يلّا حبيبي.

قام كُلّا مِنهما ليقفا بجانب بعضهم مُتحرّين القبلة ثم قال حسن:

- الله أكبر

مُعلنًا بذلك دخوله في الصلاة ثم ركع وهي تركع معه، ثم سجد وهي تسجد معه، ثم قام من السجدة، ولكن فوجئ بأنهُ هو فقط مَن قام، وهي ما زالت ساجدة!!!

****

دخل سامح البيت مُنهكًا من العمل طوال اليوم، ثم وجد أميمة تنتظره واستقبلته بابتسامة وترحاب شديد، وكأنه لم يكن أحزنها في شيء، وأسرعت نحوه وأخذته بالحضن قائلة:

- حبيبي وحشتني أوي.. ينفع الغياب ده كُله؟

نظر لها سامح بضيق قائلًا:

- يعني أعمل إيه؟ ما إنتي عارفة شغلي، وبعدين إنتي كمان وحشتيني.

تغيَّرت ملامح وجه أميمة من فظاظة ردهُ عليها ومن ردهُ الذي لا يوجد أي إحساس به بل هو مُجرد واجب..

وما أصعب أن تشعُر المرأة أنك تعاملها مُجرد واجب، فهذا أصعب قتل لها

ثم أردفت قائلة:

- الحمام جاهز حبيبي، ادخل خد دُشّ، وأنا بانتظارك.

دخل سامح، ولم يُعقِّب على كلامها، وجلست أُميمة تنتظره من أجل أن تتحدث معه ولو لحظات من أجل الشعور بتواجدهُ معها كزوج، ثم ما أن انتهى من الإستحمام خرج متجهًا لغرفة، النوم ثم جلس على السرير.

نظرت له أُميمة باستغراب وهي جالسة على الكرسي ثم قالت:

- سامح.. أنت هتنام ولا إيه؟
- اه هنام لأني تعبان ومش قادر، وإعملي حسابك هاخدك أودِّيكي للدكتور بكرة علشان أشوف حكاية قلبك إللي كل شوية تقولي تاعبك علشان ما أكونش مقصَّر معاكي في حاجة.
- طب ممكن خمس دقايق نتكلم؟ محتاجة أتكلم معاك.
- خليها وقت تاني لأني بقولك تعبان، وعايز أنام بقولك.. عايز أنااااااام.

تلقَّت أُميمة الكلام وصمتت، ولكن دموعها لم تصمت فعبَّرت عنها ولكن بطريقة أُخرى عن نفسها، وظلت تمسك بقلبها من الوجع.

بينما سامح أخذ البطانية وأدار نفسه داخلها، وتبعه صوت الشخير الذي يملأ المكان، وبينما هي تجلس والقهر يُميت أجمل ما بداخلها؛ ألا وهو قلبها،

فالقلب إذا توقف مات الإنسان في الحال،

وماذا يُفيد أن يعيش الشخص وهو مقتول بمكان لا يقدر أحد على شفائه؟!

(٤)

ما أصعب أن تشعُر بالوحدة وسط مَن تُحب
فصدق مَن قال
أن الحياة مشاركة، وأن الجنة بدون أُناس لا تُداس.
و ما قيمة مَن حولك
إذا كانوا يتجاهلونك دائمًا، ولا يُقدِّمون يد العون لك،
أو حتى أبسط قدر من المشاركة البسيطة، ولو بكلمة،
فللكلمة سحر خاص، فبكلمة ممكن أن تُقيم حربًا
وبكلمة مُمكن أن تجعلها سلامًا،
وبكلمة ممكن أن تُميت إنسانًا
وبكلمة تُحييَ إنسانًا.
فهلَّا نظرنا لكلماتنا وتحسَّسناها قبل أن نُسرِع في نُطقها؟

في اليوم التالي وقبل أن يذهب سامح إلى عملِه، أخذ أُميمة، وتوجَّه بِها إلى أقرب مُستشفى بِقربُهم، وبعد أن قطعا تذكرة الدخول وانتظرا بضع دقائق، دخلا سويًا للدكتور ثم جلس كل مِنهم أمام الآخر، وتكلم سامح وهو ناظر للدكتور قائلًا:

- كنت عايز أطمن يا دكتور على المدام لأنها كل شوية تشتكي من وجع بقليها.

نظر له الدكتور قائلًا:

- خير إن شاء الله.. ممكن أعرف إيه إللي بتحسِّي بيه بالضبط؟

نظرت أُميمة للدكتور قائلة:

- فجأة كده يا دكتور بيجيلي نغزة في قلبي، وببقى مش عارفة آخُد نفسي.

- طيب نعمل فحص رسم قلب، ونشوف النتيجة.

وبعد أن انتظر سامح بضعة من الوقت تم عمل رسم القلب، والفحوصات ونظر كل من سامح وأُميمة وهما مترقبين كلام الدكتور ثم نظر لسامح قائلًا:

- الحمد لله اطمن يا أستاذ سامح المدام بخير، ومفيش أي حاجة تقلق.

نظرت أميمة باستغراب قائلة:

- طب وإللي بحس بيه يا دكتور ده إيه؟

- الفحوصات بتقول إنك سليمة، وقلبك زي الفل لكن إللي بتحسّي بيه ده مُمكن يكون تعب نفسي أكتر أو ضغوط بتفكري بيها، وكل ده بيأثّر ومش كل التعب بيكون سبب عضوي، عادي إن الشخص يحس بتعب عضوي ويلاقى إن عضوه سليم، أهم حاجة تبعدي عن أي أفكار سلبية لأنها بتكون أكتر مليون مرة للأسف من التعب العضوي، التعب العضوي بيتعالج أمَّا التعب النفسي مالهوش علاج حقيقي بالدواء، والدواء ده بيكون مجرد مُسكن، لكن الحل بيكون في الأسباب إللي مؤدية لكده، وخلّي بالك يا أستاذ سامح التعب النفسي ما تستهترش بيه لأن عواقبه بتكون صعبة أوي.

نظر سامح للدكتور مبتسمًا قائلًا:

- شكرًا يا دكتور علشان طمنتني، وإن شاء الله هي تريَّح نفسها وتفكيرها إللي تاعبها ده وتكون زي الفل.

وبعد أن خرج سامح وأُميمة من غرفة الدكتور تفوَّه الدكتور قائلًا للممرضة:

- الناس فاكرة إن التعب النفسي ده شيء هين، ده لو يعرفوا إنهُ موت للشخص مش هيفكروا يزعلوا أقرب الناس ليهم لحظة واحدة.

خرج كُل من سامح وأُميمة من المستشفى، ثم نظر لها سامح قائلًا:

- أديني عملت إللي عليّا وخدتك للدكتور، وطلعتي زي الفل، ومفيش أي حاجة، وقلبك حديد.. بطّلي بقى الأوهام إللي إنتي عايشة فيها دي، وإرحميني وإرحمي نفسك من تفكيرك إللي مودِّيكي في داهية ده.

نظرت أُميمة لسامح، وهي تتحسَّر على أن الأمر أصبح بالنسبة له إراحة ضمير ليس إلا، وتذكرت أيام ما قبل الزواج أثناء خطوبتهما، وهما يتنزهان، عندما أخذها سامح إلى مدينة ألعاب دريم بارك، وركبا سويًا لعبة الصاروخ، وعندما انتهيا من اللعبة، أحسَّت أُميمة بتعب شديد ودوار، وقالت لسامح:

- مش قادرة يا سامح، حاسة إن روحي بتروح مِني من اللعبة المهبِّبة دي.

نظر لها سامح نظرة حنين قائلًا:

- بعد الشر عليكي حبيبتي، يا ريتني أنا.. قوليلي مالك آخدك للدكتور حالًا لو تعبانة.

- بعد الشر عليك، أنت حبيبي.. ما تقولش على نفسك كده، ده أنا عمري كُله ليك وأفديك بعُمري بس أنت تكون بخير.

- وأنا عمري ما أكون بخير لو إنتي حاجة تاعباكي يا أميمة، ده إنتي أغلى حاجة ليا في الدنيا دي، وإذا ما كُنتش أخاف عليكي من الهوا مين يخاف عليكي غيري؟ واعرفي إني طول حياتي هعيش أسعدك وأحقق لك كل إللي تتمنيه، ولا عمري أملّ مِنّك.

عادت أميمة من شرودها وعينها تدمع، كيف لهذا الشخص أن يكون هو الآن مَن يقف أمامها.

ثم قالت له:

- يا خسارة بجد، مستحيل تكون أنت سامح إللي عرفتهُ، وعلى العموم شكرًا يا سامح على إنك منّيت عليّا ووِدّتني للدكتور، وريَّحت ضميرك وأنا هبطَّل أوهام خالص حتى لو الوهم ده هو أنت إللي دايمًا بفكر فيه، وأنت ولا إحساس.

- بقولك إيه.. إنتي هتقلبها دراما وأنا مش ناقص، أنا رايح لشغلي، وتبقى تعملي حسابك تودي العيال الأيام الجاية للمدرسة، أنا عايز أركّز في شغلي يلّا سلاااااام، وخلّي بالك من نفسك.

****

بعد مرور أيام

ذهب سامح إلى الشغل دون أن يصطحب سارة وعمر، وتركهما لأميمة لتقوم هي بتوصيلهما لمدرستهم، وبعد أن انتهت، رجعت أميمة إلى البيت قائلة:

- لما أكلم ماما أطّمن عليها.. بقالي كتير ما كلمتهاش.

ثم أمسكت بالتليفون، ثم ضغطت على زر الإتصال بأمها قائلة:

- أمي حبيبتي عاملة إيه؟
- لسه فاكرة يا وحشة تسألي عني؟ خلاص الخلفة بتأخد أوي كده؟
- وهو أنا أقدر يا ماما.. ده إنتي حبيبتي.

- حبيبتك مش ناسياكي أبدًا، كل سنة وأنتي طيبة يا روح ماما.

استغربت أميمة وقالت:

- على إيه يا أمي؟

- وكمان ناسية ومش فاكرة؟ يومك النهاردة ٢٠١٧/١١/٢٧ بقى كده عندك ٣٣ سنة يا خيبة كبرتي والله والأيام جريت.

- ياااااااااااااه ده أنا نسيت خالص.

- إللي واخد عقلك يا حبيبتي بقى هنياله، سامح حب في حب بقى.

قالت أميمة في نفسها لأنها تعلم أن البيوت أسرار وهي تعلمت من أمها أن لا تفشي أي شئ بعلاقتها وببيتها للخارج لأن

عندما تشكو البنت لأهلها وقتها فقط إعلم أن هذه الحياة الزوجية على وشك التدمير.

- اه لو تعرفي حياتي يا أمي وتعرفي إللي مخبياه عليكي إننا وصلنا لطريق سدّ وما بقاش في معنى للحب في حياتنا.

ثم عادت أميمة قائلة:

- طب بقى يا أمي يا حبيبتي بِما إن النهاردة عيد ميلادي... عدِّي أنتي على عُمر وسارة خديهم خليهم عندك النهاردة بقى.

- ماشي يا ست أُميمة علشان الجو يروق ليكم، عنيا الإتنين.

- تسلم عيونك يا ماما.

ثم أغلقت أُميمة المكالمة وقالت في نفسها:

"أكيد هيفتكرني، أكيد ما هو لو ما افتكرش يبقى انتهى الأمل خالص."

دخل سامح إلى مكتبه بالشركة، وظل ينظر إلى مكتب صديقه حسن بالغرفة المقابلة له، ولكن لم يجده جالسًا، وتعجَّب من غيابُه عدة أيام حتى الآن، والأكثر من هذا أنه كلما يرن على هاتفه لا يُجيبه!! وعندما أتى الساعي بالقهوة لسامح سأله قائلًا:

- بقولك يا عم صادق.. ما شوفتش حسن؟

- لا والله يا بني.. ما جاش بقاله كام يوم ومفيش خبر عنهُ.

تعجب سامح، وأخذ الموبايل، وطلب رقمه على الهاتف... ثم أخذ يرن، ولكن دون رد أيضًا، ثم عاود الإتصال مرات ومرات، وأخذ يرن ولكن أيضًا لا إجابة!!

ثم قال في نفسه:

- أول مرة يا حسن تغيب كام يوم من ساعة ما اشتغلت في الشركة وكمان ما تردش على التليفون، يا رب يكون خير يا رب.

وبينما هو في قمة تركيزه في تصميمه الذي يُصمِّمه على جِهازه، سمع صوت تليفونه ينبِّهه بوصول رسالة أتت، ثم نظر للهاتف وأمسك به، وفتح الرسالة وجدها من أميمة تقول بها:

"مستنياك بدري النهاردة.. ألاقيك موجود قبل تلاتة" وإيموشن ابتسامة وقلب..

ثم تفوَّه قائلًا:

- والله أنتي ما حاسة بحاجة وعايشة في عالم تاني.

ثم كتب رسالة لها يقول فيها:

- والله إنتي عايشة في الترالي خالص، وعلى العموم ربنا يسهِّل لما أخلص شغل هبقى آجي، وغالبًا متأخر.

****

تلقَّت أُميمة الرسالة وما أن قرأت تغيَّر وجهها، من الابتسامة إلى العبوس وخاب أملها وازدادت سوءًا، وقالت في نفسها:

- بقى النهاردة عيد ميلادي ويرُدّ عليّا الرد ده!
ده أصلًا مش فاكرني، هو إيه خلاص ما بقاش يحس بيا خالص كده؟! فين أيام ما كُنت أنا كل إهتماماتهُ؟ دلوقتي ما بقيتش في الحُسبان.

ثم أخذها تفكيرها للماضي، ثم أخذت تبكي، وتبكي بحرقة، ثم أحسَّت بوجع في قلبها، ولكن هذه المرة غير كل مرة.. فكان بزيادة وقسوة شديدة حتى ظل يزداد ويزداد إلى أن أصبحت غير قادرة على أخذ أنفاسها، ثم أمسكت بالهاتف وهي تصارع نفسها بشدة، وضغطت على اتصال بسامح، ثم جاءها رد سامح قائلًا:

- خير يا ست أُميمة؟ مش رديت عليكي بالرسالة، عايزة إيه تاني؟
بصوت خافت قالت:

- سامح تعالى دلوقتي.. أنا تعبانة بجد، وقلبي واجعنى جدًا.
- مش هتبطلي الدلع ده بقى؟ كل ده علشان أجيلك بدري؟؟ بقولك عندي شغل وإنتي عمَّالة تخترعي تعب علشان أجيلك.

- سامح أنا مش بخترع.. أنا تعبانة وقلبي واجعني، ومش قادرة آخد نفسي حقيقي.

- إن شاء الله هخلَّص وأجيلك بسرعة، يلّا سلام علشان مشغول دلوقتي.

ثم أغلق سامح المكالمة، وعيناه جاءت على تاريخ اليوم ٢٠١٧/١١/٢٧

أمسك برأسه قائلًا:

- ده النهاردة عيد ميلاد أُميمة.. نهاري مش فايت ومطيّن فوق دماغي، ده أنا خربتها كده أكتر.. هحاول أنجز وأروَّح بدري.

****

أخذت أميمة تصارع وجع قلبها، وتبكي وهي تتنفس بصعوبة جدًا، ثم حاولت أن تخطو خطوات إلى المكتب بهدوء، وهي تتعكَّز على الأشياء التي حولها حتى استطاعت أن تستند على المكتب وأحضرت ورقة وقلم، ثم كتبت:

إلى زوجي العزيز: سامح الحسيني.. أكتب إليك الرسالة الأخيرة....

****

(٥)

اللحظات الأخيرة تكون قاسية دومًا ولكن الأقسى من ذلك؛
هو جفاء مَن نجِبَهُم لنا
المرض لا يُحطّم الإنسان، ولكن المُحطِّم الحقيقي هو أن لا تجد مَن تَجِبُهم بجانبك في أكثر وقت تحتاج إليهم.

أنجز سامح عملُه بسرعة، ثم دخل على مكتب المهندس عماد السيوطي رئيس الشركة قائلًا له:

- بعد إذن حضرتك يا باشمهندس عماد محتاج إذن ضروري أمشي دلوقتي.

نظر له المهندس عماد السيوطي بعبوس قائلًا:

- هيتخصم منك لو مشيت دلوقتي.. كمِّل يومك أحسن.

نظر له سامح وزفر هواء ضيق بداخله قائلًا:

- إخصم إللي إنت عايزُه، سلام.

****

خرج سامح مُسرعًا إلى متجر حلويات مشهور وابتاع مِنه تورتة وكتب عليها اسمها وعُمرها للإحتفال بِها، ثم أخذ سيارته مسرعًا للمنزل وهو في الإتجاه إلى المنزل أخذ يتصل بأميمة ولكن لا رد!

توتر سامح لأول مرة وقال: "أميمة ما بتردش على التليفون!!".

أخذ يقود بسرعة جنونية وأحسَّ بانقباض في قلبه وخفقان، شيء ما يحدث شعر به سامح في نفسه، وأحسَّ أن الدنيا تُظلم أمام عينيه وظل يقاوم هواجسه إلى أن وصل أسفل العمارة، ثم ركن سيارته على عجلٍ، أخذ التورتة وخرج من السيارة مُسرعًا، وهو يركُض ويقفز على السلالم قفزًا، ثم وقف أمام باب الشقة، وأخرج المفاتيح ثم دخل الشقة قائلًا:

- أُميمة حبيبتي.. جبتلك مفاجأة، إنتي فين؟

ثم عاود قائلًا: أُميمة أنتي فين !!

أحذ يتلفت لم يجد أي همس، فلا أولاد بالشقة ولا أي شئ يُشعره بالأمان، فذهب إلى غُرفتهم لم يجدها.. ثم إلى غرفة الأولاد لا أحد أيضًا، ثم دخل إلى غرفة المكتب التي يعتبر مكانها في أقصى مكان بالشقة، فهو قد اختارها بعنايه لتصبح غرفة مكتبة بعيدة عن الضوضاء وضجيج أطفالِه، ثم ما أن دخل فجأة تسمّر مكانُه في ذهول شديد لم يقوَ على القيام بأي شيء!!

****

جلس سامي في دُكَّانُه من بعد تعب شديد من خدمتُه للزبائن والبيع والشراء، وتذكر أخاه الصغير سامح الذي تجاهلُه ولم يسأل عنه كثيرًا بسبب انشغاله بالدُكان، وبسبب زوجته نوال التي أبعدتهم كثيرًا عن بعضهما البعض، بسبب طمعها، وتذكر والدُه قبل أن يموت وهو يقول:

- سامي يابني خلّي بالك من أخوك.. أنتم مالكوش إلا بعض.. إياك تنشغل عنُه، ما تخلّيش زوجتك تفّرق بينكم، أنت عارف إني مَا كُنتش راضي عن الزواج ده، وأنت اكتشفت ده بنفسك بعد الجواز لأنها إنسانة طماعة وما بتفكرش غير في نفسها، وصيتي ليك خلّي بالك من أخوك لأن يابني الزوجة تتعوَّض إنما الأخ ما يتعوضش، ولو بكنوز الدنيا لأنكم دم واحد خليك فاكر الكلام ده كويس.

دمعت عين سامي وأخذ يبكى على تقصيرُه في حق أخيه الصغير، وتذكر أنَّه هو من استأمنه في زمن لا يأمن أحد حتى على نفسه عِندما قال له سامح:

- يا سامي أنا من بعد أبويا مش عايز حاجة، وبالنسبة للدُكان أنت عارف أنا ماليش في التجارة، ديرُه أنت ويا سيدي تبقى تدِّيني نسبة سنويًا من الأرباح وحلال عليك أنا والله ما يفرقش معايا الكلام ده.

- يا سامح ده حقك، ولازم تكون على عِلم بكل حاجة وأنا هبقى أبعتلك التقارير كُلها كل شهر، تعرف إيه الداخل والخارج.

- يا سامي أنت أخويا، وأنا مستأمنك، ومش هدقَّق في حاجة، عيب تقول كده.. إحنا هنخَّون بعض؟ ده أنا استأمنك على حياتي كلها وبيتي.. أنت دمي يا سامي، وأنا قولتلك أنا ما يهمنيش كل ده.. أهم حاجة الحب والود هو إللي يفضل ما بينَّا.. مش نتكلم في فلوس وكلام فاضي، وإيه لازمة الفلوس لو النفوس شايلة من بعضها؟ ثم إن الحب والود والأمانة أهم من مليون حسابات وأرقام.

عاد سامي من شروده وما زالت عيناه تبكي ثم شعر بشعور غريب يراوده.. شعور بالفقد تعجب من هذا الشعور ووجد نفسُه يقرر أن يقوم بزيارة أخيه بنهاية هذا الأسبوع.

****

ذهب سامح إلى غرفتهم فلم يجد أميمة، ثم إلى غرفة الأولاد لم يجد أحد أيضًا، وما أن دخل غرفة المكتب تسمَّر مكانُه في ذهول شديد لم يقوَ على القيام بأي شيء!

أخذ ينظر وهو مُحدِّق العينين ليرى أميمة مُلقاة على الأرض لا تُحرِّك ساكنًا وبيديها قلم وورقة ساقطة بجانبها، ووجد نفسُه يتصبَّب عرقًا وينظر في ذهول شديد، وأحسَّ بخفقان قلب وضربات شديدة السرعة تنتابه، ثم

أخذ يقترب مِنها في توجُّس وخيفة من المجهول إلى أن لمس جسدها وأخذ يُحرِّكها بيديه لتفيق، ولكن لا حِراك.. لا إستجابة... نظر إلى الورقة المُلقاة على الأرض بجانبها، وأخذها ليقرأ ما المكتوب بها...

إلى زوجي العزيز: سامح الحسيني

أكتب إليك الرسالة الاخيرة وأنا على مشارف اللحظات الأخيرة حابه أقولك إني كتير كلمتك، وأنت ما حسِّتنيش.. بل كانت معاملتك للأسوأ دايمًا، وأنا كان كل همّي إني أحِسّ معاك بالإهتمام..وإني أهم من أي حاجة عندك،

لو تفتكر في أيام خطوبتنا الأولى، وأول الزواج إحنا كُنا على قدّنا أوي وكانت خروجتنا على الكورنيش مُجرد تمشية، وكنت بتجيبلي سميطة بدُقَّة والله أنا كُنت أسعد واحدة في الدنيا، وللعلم الفلوس مش كل حاجة يا سامح علشان تبقى عارف.. وأديك هتشبع بيها مع نفسك؛ مع إنك في يوم مكنش بيهمك الماديات، ومعرفش ليه اتحوّلت فجأة واتغيرت..

إعرف يا سامح إن

الواحدة مِننا بتحب إن حبيبها يكون دايمًا مشاركها في كل حاجة.. يكون حنيّن عليها مش يقسى عليها، يقعد معاها ولو دقايق، بس يكون جسمه وعقله وقلبُه معاها، مش مشغول بحاجات تانية..

وعلى فكرة أنا لمَّا كنت بقولك تعبانة أنا ما كنتش بمثل ولا حاجة، ولا أنا من النوع إللي يستعطف حد بالتعب لأن ده أُسلوب رخيص وأنا عمري ما كنت كده.

أنا بس كُنت ببقى محتاجاك جمبي تحسِّسني بوجودك، والدكتور قالَّك إن مش لازم يكون التعب عضوي، وإن التعب النفسي أصعب وأكبر من التعب العضوي، يا ريتك كنت فهمت الكلام ده...

أنت بسم الله ما شاء الله نفسيتي معاك في الأيام الآخيرة ربنا إللي يعلم بيها..

أنا اليوم سايباك للأهم مني يمكن تستريح كده وضميرك يرتاح، وعلشان ما تتعِبش نفسك وتطلب تشريح الجثة سبب موتي يا سامح؛

هو إهمالك ليَّا.. احفظها كويس جدًا وعارفة إنك هتحبِّني أكتر وهتندم كتير ولكن بعد إيه للأسف؛

إحنا دايمًا ما بنفوقش إلا لمّا الشيء إللي بنحبُّه يضيع مِنّنا.. سواء حب أو شخص أو روحنا إللي بنعيش بيها، ما بنفوقش ليها إلا لما تروح مِننا..

وأتمنى إنك ما تهملش أولادنا.. علشان هما كمان ما يموتوش، وإن أهملتهم فأنا إللي هتولّى أمرهم يا سامح، إوعى تفتكر إن إللي بيموت بينقطع عن كل حاجة.. لاء ده بيكون معاك في كل وقت، وعارف أخبارك وآخر حاجة حابة أقولهالك إني كُنت _____

لم يجد سامح بقيّة الرسالة..

وفجأة سقط سامح على ركبتيه بعدما قرأ الورقة وظلَّ يضرب بالأرض، ويقول: لا لا لاااااااا... مستحيل مستحيييييييييييل.. مش ممكن يا رب.

ثم أمسك بأميمة، وصرخ: أميمة.. يلّا قومي يا أميمة أميمة أميمـــــة..

أخذ يبكي بهستيريا قائلًا:

- إدِّيني فرصة أرجوكي، يلّا يا أميمة قومي أنا جايبلك تورتة جميلة نحتفل بيها.. يلّا يا أميمة.

ثم أخذ يُحرك جسدها بكل قوة، ولكن لا حِراك.

ثم صرخ بصوت سمِعَهُ كُل مَن بالعمارة وخارجها قائلًا:

- أميمة!!!!!!!!!!!!!!

ثم سقط بجانبها جُثَّة هامدة..

****

ليه دايمًا ما بنفوقش

إلا لمَّا الحاجة تروح مِنّنا

ليه دايمًا ما بنحسش بآلام بعضنا

كلنا رايحين وسايبِنها

بس الحاجة إللي ما حسبناش

إننا ممكن يروح مِنّنا

إللي حياتنا عشانُه بتتعاش

كلنا رايحين وسايبنها

بس الحاجة إللي ما حسبناش

إننا ممكن يروح مِنّنا

إللي حياتنا عشانُه بتتعاش

طب وليه بقى

نكون سبب في حزن لحد بجد بيحبنا

وفجأة يروح منِّنا

ونبكي طول عمرنا

إننا قصَّرنا في حقه

وهو ما قصَّرش، وهو ما قصَّرش

ياللي بتحبوا بعضكم

قَّربوا وما تبعدوش

دي الدنيا أيام ولحظات

أرجوكم ما تفترقوش

مفيش حاجة تستاهل

ده الحب هو الحياة

وإيه يعوض الحب

غير قلوب بينا تحس

****

(٦)

قوة الإهتمام تُحطِّم المستحيل وتجعله مُمكنًا فقط عِندما نُصدِّق أنه لا مستحيل مع يقيننا بالله سبحانه وتعالى.

أخذ الدكتور يقرأ نتائج التحاليل، ثم تغيَّرت ملامحه للحزن، ونظر لإيمان سائلًا وهي تجلس مُقابل حسن زوجها قائلًا:

- إنتي كان بيجيلك تعب قبل كده؟ أي أعراض غريبة؟
- اه كنت بحس بصداع شديد أوي، وكنت بقول عادي يعني.

التفت الدكتور إليهما وهما يجلسان أمامه في انتظار معرفة التشخيص، وبنبرات هادئة متقطعة أردف قائلًا:

- أُستاذة إيمان إنتي أكيد مؤمنة، وعندك يقين بالله
- ونعم بالله يا دكتور

نظر إليه حسن قائلًا:

- خير يا دكتور؟ في إيه في التحاليل؟
- للأسف الحالة متأخرة جدًا يا أُستاذة إيمان.. إنتي عندك المرض الخبيث (سرطان بالدماغ).

نظر حسن لإيمان وعيونه تملأها الدموع، ودمعت عين إيمان، ثم أخذت أنفاسها بقوة، ونظرت للأعلى قائلة:

- الحمد لله على كل حال، وربنا قادر على كل شيء لأنُه هو القائل بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يونس ١٠٧)

وأنا ما بيأسش لأن ربنا قال ما بييأسش إلا الكافر.. وأنا الحمد لله مؤمنة وراضية بقضاءه وقدرُه

ومش مرض هو إللي هيهدِّدنى أو ياخدني من إللي بحبهم، بالعكس أنا أقوى من أي مرض.. أنا أدوسه تحت رجلي، شوف يا دكتور اللازم إيه ونعملُه ونبدأ رحلة العلاج..

نظر الدكتور إليهما قائلًا:

- في أكتر من برنامج للعلاج والإختيار ليكي، ممكن نمشي على نظام غذائي.. وحقنة يوم بعد يوم وأقراص يومية، وممكن العلاج بالكيماوي وده الأفضل لأنُّه أسرع في العلاج.

نظرت إيمان للدكتور قائلة:

- أنا همشي على النظام الغذائي، والأقراص والحقنة، ومش هاخد كيماوي.. وإن شاء الله هيكون خير..

- ما دام ده هيريَّحك يبقى مفيش مشاكل إن شاء الله، مطلوب منك تاكلي فواكه على قد ما تقدري عنب مثلًا.. وأهم حاجة الموز لأنه يحتوي على الألفا كاروتين، البيتا كاروتين، الميلاتونين واللكتين، وكلها مركبات تتضامن مع بعضها لمحاربة السرطان، والخس.. لأنه مصدر لفيتامين c، حمض الفوليك، البوتاسيوم وزوِّدي من الأكل النباتي زي البروكلي، والطماطم، والثوم، والعصائر، وإن شاء الله أشوفك بكرة في المستشفى نبدأ كورس العلاج.

قامت إيمان، وسبقت بخطوات للخارج ثم قام حسن والتفت للدكتور قائلًا:

- دكتور في أمل إنها تخف؟
- الأمل في ربنا يا أستاذ حسن.. بس خلّي بالك إن أهم حاجة؛ الاهتمام الكامل بيها لأن ده أساس لعلاج أيّ مرض، وده بنعتبرُه من ضمن خطة العلاج..

خرج حسن وإيمان سويًا من المشفى بعد عناء أسبوع من التحاليل والفحوصات وبعد أن تعافت من الإغماء الذي حدث لها في الصلاة، ونظر كل منهما لبعضهما البعض ثم قالت:

- عايزة أمشي على الكورنيش يا حسن
- أنا عنيَّا ليكي يا إيمان.. اطلبي أي حاجة هتكون مُجابة.

نظرت له إيمان نظرة حزينة وفي عينيها دموع حبيسة، ثم أوقف حسن تاكسي وركبا في المقعد الخلفي بجانب بعضهما البعض، وكل مِنهُما يلتزم الصمت حتى وصلا إلى كورنيش قصر النيل، وترجلّا من التاكسي، ليسيرا لمنتصف الكوبري، ووقفا ينظران للنيل، ثم التفتت إيمان ناظرة لحسن وقالت:

- ما تبقاش تكلمني بصيغة الواحدة إللي في آخر أيامها، مفيش حاجة تبعدني عنك حتى لو الموت يا حسن، ومش مرض هو إللي هيموِّتني وأنا لسه بتنفس.

نظر لها حسن وهو يبكي قائلًا:

- ما تقوليش كده يا إيمان.. إنتي عارفة إن من قبل أي حاجة وأنا بعمل إللي إنتي تُطلبيه، وأنا جمبك ولو حد مِننا هيموت يبقى هنموت مع بعض.

اقتربت إيمان من حسن، ثم فتح حسن ذراعيه وأخذها بين أحضانُه، ومسح دموع عينيها قائلًا:

- إنتي هتكوني أحسن من الأول، ومن دلوقتى أنا مش هفارقك لحظة واحدة

- وشغلك هتعمل فيه إيه؟

- هسيبُه يا إيمان.. مفيش حاجة هتشغلني عنك من دلوقتى، وأنا الحمد لله مُصمِّم جرافيك.. الكل بيتمنى أعمل شغل ليه هشتغل حر بالطلب، واللاب توب موجود في البيت وكل حاجة متوفرة، والعُملاء كمان موجودين، ما تشغليش بالك إنتي غير بحاجة واحدة.

- وإيه هي بقى؟

- إنك تكوني سعيدة وبس.. وتعافري بكل قوتك علشان تنتصري على المرض اللعين ده.

نظرت له بامتنان وتودُّد قائلة:

- أنا معاك عرفت معنى السعادة بجد، ويقيني بالله أنا هنتصر على المرض ده.

****

وصل حسن في الصباح الباكر إلى مقر الشركة ودخل أولًا إلى مكتب حسن صديقُه ولم يجده، فقال في نفسه:

- مفيش مرة ييجي بدري كده..

ثم بعدها دخل مكتبُه ليُلملِم أشياءُه، ولكنه شَعر بشيء غريب بالشركة؛ موظفو الشركة ينظرون إليه نظرة أسى! ثم أخذ يفكر ويقول في نفسه:

- يا ترى حد عرف حاجة عن زوجتي وإللي حصلَّها؟

ثم أجاب نفسُه قائلًا:

- أكيد لاء.. وهيعرفوا منين أصلًا؟؟؟

وبعدها قال يدخل مرة أخرى لمكتب سامح لعلَّه يكون أتى، ثم دخل مرة أخرى ولم يجدُه، وبعدها نظر إلى محسن الذي يجلس بجانب مكتبه سائلًا إياه:

- سامح فين؟ مجاش ليه لغاية دلوقتي؟

لم يُجبه وظل صامتًا وهو ينظر إليه، ثم نظر له حسن مرة أخرى قائلًا:

- بقولك سامح فين؟

أجابُه بعد طول صمت قائلًا:

- ادخل للباشمهندس عماد أحسن وهو يقولَّك.

تغيَّر وجه حسن وكلم نفسه قائلًا:

- يا ترى عمل إيه الزفت ده؟؟ معقول يكون طرده علشان تأخيره؟

- مستحيل، شكلي كده هعمل جناية قبل ما أمشي من الشركة دي.

وقف حسن أمام مكتب المهندس عماد السيوطي مدير الشركة وطرق على الباب، وبعد لحظات ثم سمع مَن يقول:

- إتفضل

دخل حسن وأمامه كان يجلس المهندس عماد على المكتب وهو يُدخّن مثل العادة، وقبل أن ينطق حسن بكلمة بدأ المهندس عماد بكلامه قائلًا:

- كنت فين؟ بقالك أسبوع مختفي.. أنا قولت إنك مُتّ أنت كمان، ما هي صداقة نحس كلها.

نظر حسن بإستغراب له قائلًا:

- أنت بتقول إيه أنت؟ مش فاهمك! وبعدين أنا كان عندي ظروف صعبة، وأنا إللي عايز أسألك فين سامح؟ مش موجود على مكتبه ليه؟ أنا سألتهم قالولي أسألك أنت.

- وهو أنت ما تعرفش!!

- معرفش إيه!!

- صاحبك ربَّح واستريح من الدنيا دي، وبجد الواحد ارتاح، كان بيتأخر.. ومتعجرف كده.. وقرف والحمدلله الشركة خلصت مِنه، والدنيا كلها كمان.

- أنت بتقول إيه أنت؟ ما تبطل كلامك ده، وتقول فصلته ولا عملت إيه؟؟

نظر له وهو يبستم بسخرية قائلًا:

- هو إللي فصل نفسه من الحياة.. صاحبك بيقولوا مات منتحر بعد ما ماتت مراتُه.

تلقَّى حسن الكلمات، وكأنها صاعقة من السماء، ونزل على الأرض ممسكًا برأسه قائلًا:

- يا الله! يا الله رحمتك ولطفك بيَّا، مش معقول.. مستحيل.

نظر له المهندس عماد السيوطي قائلًا:

- اجمد كده أُمَّال.. ما ينفعش ده إحنا كمان كرمناه آخر كرم، ودفنَّاه تبع مدافن الشركة.. ما كانوش عندهم مقابر فاضية.. شكل عيلتهم دي بيموت منهم كتير، ده حتى جه على الشركة بخسارة، حتى في موتُه.

قام حسن متمالكًا نفسُه من هول الصدمة، وتدير حول المكتب، وقبل أن يرتد طرف محمد مديره أمسك برقبته بشده قائلًا:

- يا أوسخ خلق الله.. لا سايب حي ولا سايب ميت.. لولا إني عندي واحدة خايف عليها أقسم بالله كُنت موّتك وخلَّصت البشرية مِنك، وإعمل حسابك قبل ما تقول إني مفصول، أنا إللي بقدِّم إستقالتي، كلمة تاني هتتكلمها عن صاحبي هقتلك.

وأخذ يشدّ برقبته أكثر قائلًا:

- هقتلك.. هقتلك.

ثم ترك رقبته قبل أن يختنق، واستدار خارجًا، تاركًا كل شيء خلف ظهره.

ظل المهندس عماد يسعل وهو يقول:

- والله لأحاسبك.. ومفيش مستحقات ليك يا لِمامة، بلا قرف عليكم.

خرج حسن غير عابئ بأي شيء، والجميع بالشركة قد سمعوا ما دار بين حسن والمدير، ثم قالوا:

- حسبنا الله ونعم الوكيل في ده إنسان ظالم، يا رب ورِّينا فيه يوم أسود على إللي بيعملُه فينا، مفيش أي خِشَى ولا خوف عندُه من ربنا!!

سار حسن في عرض الطريق وهو يبكي، ويكلم نفسه قائلًا:

- بقى إيمان يجيلها مرض خبيث، وزوجة صديقي تموت، وصديقي إللي كان أقرب الناس ليا يقولوا انتحر! مستحيل.. في حاجة غلط.. سامح ما ماتش.. مستحيل يكون مات.. ده رفيقي.

ثم أخذتُه الذكريات، وتذكَّر مشاهد تجمعه بين صديقه..

- عارف يا حسن أنا أميمة عندي بالدنيا كلها.. اه والله، يمكن بنشغل عنها، بس عشان أعيِّشها هي وسارة وعمر أجمل عيشة.

- أكيد هي مقدَّرة مشاغلك وإنك بتعمل كده علشانهم، بس أنت اتكلم معاها وفهِّمها كل ده.

- مش عارف ليه ما ببقاش عارف أتكلم معاها زيك كده، بحب إنها تكون فاهماني من قبل ما أتكلم، يا حسن أنا بحكيلك وبفضفض معاك بحرية على إللي بيضايقني، حقيقي بحِسّ معاها إني أخرس مش عارف ليه!!

- ليه يا سامح؟

- يمكن لأن زي ما بيقولوا كلام الرجل مِنّنا في إللي بيضايقُه بيكون ضعف، وأنا ما اتعودِّتش أبان ضعيف، ويوم ما أحس إني ضعيف هموت.

- بعد الشر عليك يا سموحة.. ما تقولش كده.

- ولا شر ولا حاجة.. بس أمانة عليك يا حسن لو مُتّ خلّي بالك من أُميمة والأولاد لأن أخويا سامي مشغول، والله يعينُه على إللي هو فيه، من بعد ما أبويا مات وهو إللي ماسك التجارة كلها، ولأن أنت عارفني ماليش فيها يا صديقي.

- بس بقى يا عم.. هي ناقصة نكد ولا إيه، ما تقلقش.. موت أنت بس وأنا هعمل اللازم هههههه.

- يوم ما أموت يا حسن هتحِسّ بقبضة في قلبك، ولو ما حسيتش يبقى لسه عايش.

نظر له حسن متعجِّبًا وقال له:

- لاء بجد ده إيه بقى؟ ده عالم الخيال ولا إيه؟

- لاء يا حسن.. قلوب المحبين بصدق بيحسُّوا بكل حاجة بتحصل للي بيحبوهم وبكرة تشوف، وبكرة تشوف.

ظلّت الجُملة يرن صداها في أُذن حسن حتى عاد من شروده وذكرياتُه مع حسن قائلًا:

- بس أنا ما حسيتش بقبضة يا سامح، أنا ما حسيتش بقبضة في قلبي زي ما قولتلي، يا إما أنت كنت بتخرَّف يا إما أنت لسه عايش!!

أنا لازم أعرف إيه إللي حصل بالضبط؟

أسرع حسن لإيقاف تاكسي من مكرم عبيد حيث مقر الشركة ووقف له سائق التاكسي ثم قال له حسن:

- شبرا يا أسطى؟

- فين بالظبط في شبرا؟
- ١٨ شارع اللواء فطين.. عند مسجد أحمد حسانين، متفرع من شارع شبرا الرئيسي.
- تمام.

جلس حسن بسيارة التاكسي وهو لا يفكر في أي شئ سوى الوصول للحقيقة، وبعد مدة وصل إلى المكان حيث منزل سامح الحسيني، ترجَّل من التاكسي ونظر للمنزل ووجد الكراسي مرصوصة على مدخل البيت وورقة مُعلَّقة مكتوب بِها (توفي إلى رحمة الله تعالى الأستاذ سامح الحسيني، وحرمه الأستاذة أميمة أحمد).

يوم ٢٧ \١١ \ ٢٠١٧ وسمع صوت قرآن قادم من دار المناسبات المقابل لمنزلهم والذي يقع بجانب المسجد للقارئ عبد الباسط عبد الصمد وهو يتلو آيات قرآنية تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أيها النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ).

(فاطر آية ٥)

وقف حسن في ذهول وهو يبكي، ثم دخل على العزاء ورأى سامي أخو سامح يأخذ العزاء، وابنه محمد يقف بجانبه، دخل حسن معانقًا له ويبكي بشدة بين ذراعيه قائلًا:

- امتى حصل وإزاي يا سامي؟ قوللي الحقيقة.. قوللي إن سامح عايش.

أخذ يتنهَّد سامي ويلملم شتات نفسه قائلًا:

- أنا مش مصدق لغاية دلوقتي إن أخويا مات يا حسن، أنا حاسس إني في كابوس، أنا قصرت معاه جامد أوي.

- إحكيلي يا سامي.. واعذروني لأني كنت في موال تاني ربنا العالم بيه، ولسه عارف دلوقتي من مدير الزفت إللي في شركتنا.

نظر سامي لحسن في ضيق قائلًا:

- حسبنا الله ونعم الوكيل في دي شخصية، وعلى إللي عملُه معانا، حقيقي هو في شخصيات بالبشاعة والسوء ده يا حسن!

- للأسف موجودين حوالينا في كل مكان، ربنا يهدي.

- ده ما يعرفش حُرمة ميِّت خالص، إللي حصل إني لقيت مكالمة من بواب العمارة بيقوللي تعالى بسرعة سمعنا صرخة من بيت أخوك، ومحدش بيفتح لينا، روحت أجري وسِبت كل حاجة فضلنا نخبَّط جامد مفيش حد فتح.. كسرنا الباب، ودخلنا مش لاقيين حد، لحد ما دخلنا غرفة المكتب ولقينا أميمة واقعة على الأرض وسامح واقع عليها، ولقينا ورقة مكتوب فيها رسالة من أميمة لسامح كاتبة كلام عتاب فيها، وإنها ماتت بسبب إهماله ليها، وإنها اليوم كان يوم ميلادها وهو حتى ما عبَّرهاش، وواضح إنه نسي وبعد ما افتكر راح على البيت بس راح متأخر أوي، وقرأ الورقة من الصدمة مات ووقع جمبها.

نظر حسن لسامي وهو يبكي قائلًا:

- حسبنا الله ونعم الوكيل في الناس إللي بيطلَّعوا إشاعات وبيقولوا إنه مات مُنتحر، وهو مات من زعلُه عليها والصدمة.... اه يا سامح! كتير حذرتك واتكلمت معاك، فضلت تقوللي أنا بعمل كل ده علشانهم، وإنها أكيد فاهمة.. آدي آخرة سكوتك وعدم كلامك معاها موِّتكوا إنتم الإتنين، مستحيل تكون ميت، أنا مش مصدق، ولا هصدق إنك مُتّ ومش هشوفك تاني.

****

شعور الفقد مؤلم لأبعد مدى، شعور الموت مميت، ويكون مؤلمًا أكثر عندما يجتمع الفقد مع الشعور بالذنب أنك السبب في موت هذه الروح...

****

انتهى العزاء، وترك حسن المكان ذاهبًا للبيت للإبتلاء الآخر، ثم قال في نفسه:

- يا رب قدّرني على إني أعرف أخفي كل إللي حاصل ده على إيمان، مستحيل أعرفها، ومستحيل إنها تحسّ، مرضها ما يستحملش إنها تعرف حاجة زي كده لأنُه ممكن يأثَّر على نفسيتها.

****

(٧)

ما أصعب أن تتظاهر بالقوة والسعادة، بل والأكثر أن تجعل مَن أمامك يضحك وأنت بداخلك آهات وأحزان لا يطفِئها عُمرٌ بأكملِه.

سار حسن في طريقه للمنزل وابتاع باقة ورد أنيق من محل يقع بجوار منزلهم، كانت الباقة عبارة عن مجموعة ورود باللون التركواز وورود باللون الروز.. الأبيض.. البنفسجي، ويحيط الباقة شريط ستان باللون الأحمر.. وأثناء عودتُه بالطريق للمنزل وجد سيدة مُسنَّة فقيرة تجلس بالشارع على الرصيف ومعها طفلة وتقرأ القرآن، ثم تذكر أن الصدقة تكون سبب للشفاء لو أخرجها بنية الشفاء لزوجته، أخرج من جيبه نقود وهو لا يعلم ما المبلغ الذي خرج من جيبه، ولكنه أصر أن يُخرج ما بجيبه، دون عِلم حتى تكون النية خالصة لله، وبدون أن يعلم الشيطان كم أنفق ولا هو ذات نفسه، وأعطاها للسيدة، وظلت تدعي له و قال لها:

- ربنا يباركلك و يرزقك كل إللي طالبُه إنك تدعي لزوجتي بالشفاء، وأنا على يقين أن ربنا إن شاء الله هيتقبل مِنك.

نظرت له السيدة المُسنه قائلة:

- ربنا يشفيهالك يا بني وخد كلامي ده وإعتبرُه من واحده في مقام والدتك ست كبيرة؛

أهم حاجة إنك تعرفُه في الرخاء والشدة مش وقت الشدة بس، صدَّقني هو كريم أوي أوي والله.

- عندك حق يا حاجَّة.

نظرت له السيدة قائلة:

- تعرف أنا عمري ما طلبت حاجة من حد.. زي ما شوفتني أنا بقعد أقرأ قرآن، ولو كان ليا مكان أنا ما كنتش قعدت في الشارع كده، بس

الحمدلله ربنا بيرزقني من غير ما أقول لحد إديني، لأني بطلب مِنُه هو مش من حد تاني، وبحمدُه على كل حال.. وساعات بتيجي أيام ما ندوقش فيها لقمة واحدة وبنقول الحمدلله أنا والطفلة دي إللي سابتهالي بنتي بعد حادثتها هي وزوجها الله يرحمهم.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. الإتنين ماتوا في حادثة مع بعض!

- وإللي مش هتصدقه إن البنت دي كانت معاهم وكانت بترضع من أُمها والعربية اتقلبت كذا مرة وأُمها كانت ماسكاها جامد ومحاوطة عليها بإيديها في حضنها وهي بترضع، وكمان الأكتر إن البنت دي فضلت ترضع من بعد موت أُمها ٤ ساعات وما حصلَّهاش أي مكروه.

- إنتي بتحكي قصة معجزة.

- دي الحقيقة يا ابني صدقتها أو ما صدقتهاش هي حصلت وهي فعلًا معجزة.. لكن؛

لازم تعرف إن لو ربنا كاتب حاجة والله لو إيه حصل مش هيحصل غيرُه، مش هيحصل غير مشيئتُه هو وبس، ف اطِّمن أوي، وعشان كده بقولك ربنا كريم وعالم بينا.

أكمل حسن طريقُه، وظلَّ يفكر في هذا الكلام الذي يعتبرُه أكبر رسالة جاءت له من ربنا لتُذكِّره أن الله قادر على كل شيء، فهو حقًا الذي لا يُعجزُه شيئًا في السموات ولا في الأرض، وكيف يُعجزُه شيئًا وهو خالق كل شئ من العدم، وحقًا أستغرب مِمَّن يدّعون إنكار الإله ويكفرون بكل الأديان ويلحدون.. كيف وكل شيء حولهم؟! لو فكروا بِه جيدًا وتدبروا سيصلوا لحقيقة واحدة؛ أن لكل شيء صانع ولا بُد لمَن رفع السماوات بلا عمد أن يكون إله خالق وليس مخلوق، يا ليتهم يتدبرون، وأليس الله

سبحانه وتعالى تحدى مَن لا يؤمنون بشيء قائلًا لهم اخلقوا شيء إن كنتم تعلمون، حتى لو ذبُابة، ولكنهم لم يقدروا على التحدي ولم يخلقوا شيئًا ولن يخلقوا، فكان الله دائمًا يبعث رُسل لكل قوم فيما يبرعون به ليتحداهم ويقول لهم اؤمنوا ولكن يؤمن مَن يؤمن ويأبى مَن يأبى، وللعلم؛ الله لا يُحاسب إلا من جاءتُه البينة، فحاشى لله أن يكون ظالم، وحقًا أستغرب؛

كيف لمَن لا يؤمن بشيء أن يشعُر بالأمان، والحقيقة التي نجِدها أن مُعظم مَن عاش مُنكرًا لآيات الله في الأرض، مُنكرًا للخالق، يموت مُنتحرًا، أليس هذا أكبر دليل؟ يا ليتهم يراجعون أنفسُهم قبل أن يأتي يوم لا مراجعة فيه....

وصل حسن إلى منزله ثم صعد ليقف أمام الشقة، ثم رنَّ الجرس وخبَّأ الباقة خلف ظهره، وبعد لحظات فتحت إيمان مبتسمة له بعد طول انتظاره طوال اليوم، ثم قال لها بعد أن دخل البيت:

- قلبي والله إللي وحشتني جدًا فوق ما تتصور.
- يا بكاش! بقى سايبني طول اليوم؟ وقولت هكون معاكي كل لحظة، شكلك كده رجعت عن قرار الإستقالة، وقعدت تشتغل.
- لا يا حبيبتي من النهاردة أنا مِلكك وبس، أنا كُنت بخلّص إجراءات الإستقالة.

نظرت له مبتسمة وهي تُغمِض عين وتفتح عينها الأخرى رافعة حواجبها قائلة:

- امممم ومخبى إيه بقى ورا ظهرك؟؟ خير.
- ولا حاجة يا ستي.. كل الحكاية إني بموت فيكي أوي.. ودي حاجة بسيطة تعبر عن حُبي ليكي.

ثم أعطى لها باقة الورد.

نظرت إيمان لحسن ولباقة الورد، ثم رفعت حاجبيها الاثنان مندهشة وارتمت بين أحضانه قائلة:

- أنت أحسن إنسان في الدنيا دي كلها.

ثم أخذتُه بالحضن، وقالت له:

- أنت أبويا وأخويا وحبيبي وكل حاجة ليا، ربنا ما يحرمني مِنك .
- ولا مِنك يا حبيبة قلبي، وعشان الكلمتين الحلوين دول أنا هعمل لك أكلة ما حصلتش.
- إيه هتعمل إيه؟ قولي
- مَالكيش دعوة بقى، فين مريلة المطبخ والجوانتي؟
- في درج المطبخ هيكونوا فين يعني؟ يلّا وريني نفسك بقى، وأنت لابسهم .

دخل حسن المطبخ، بعدما قام بغيير ملابسُه وارتدى جلباب أبيض، وارتدى على الجلباب مريلة المطبخ ذات اللون الأصفر التي بِها صورة البط دونالد دك، ثم ربط على رأسه منديل أسود لعدم سقوط شَعرُه في الأكل بسبب شَعرُه الناعم المُنسدل الطويل، وبدأ يُسخن الزيت ليقلي دجاج بخلطة سرية تشبه كنتاكي، ثم دخلت عليه إيمان وهو يضع الدجاج بالزيت ويلسعُه الزيت الساخن، و يقفز قائلًا

- اوبا اوبا لا لا لا.

ضحكت إيمان ضحك هستيري قائلة:

- أنت منظرك مسخرة، ولمّا أنت بتخاف من قلي الزيت بتقلي ليه؟

ثم أردفت قائلة:

- ناقصك تقول بك بك بك هههههههههههههه

- اتَّريقى عليّا يا إيمان، ماشي، ولو ده هيضحَّكك أهو يا ستي بكبكبكك بكبكبك

- شكلِك كده هتبقى الطباخة الجديدة في البيت ده.

- علشانك أكون طباخة وماما وبكبك كمان، كفاية إني أسعدك وبس.

ابتسمت إيمان له ثم تحوَّل وجهها فجأة قائلة:

- يا نهارك أغبر!! عمَّال تكلمني، وتتغزل والفراخ اتحرقت.

نظر حسن للطاسة قائلًا:

- يا لهوي عليّا شكلي هتطرد من أول يوم في الشغل الجديد.

ضحكت إيمان، وقالت:

- طب يلّا بقى.. بِلا مطرود من هنا.

ظل كل منهما يضحك، ليسرقا من العُمر لحظات قد لا تُعوَّض مرةً أُخرى.

يا ليت الجميع يُدرك أن يستمتع بكل لحظة لأن اللحظات التي تذهب لا تعود أبدًا

وما أجمل أن تعيش لحظات حياتك مع مَن تحب، وأن تهوِّنها عليه حتى وأنت تعتصر ألمًا.. فهذا شعور لا يُضاهيه شعور آخر.

****

(٨)

تطاردنا هواجس أفكارنا لتُعلن عن تقصيرنا، فتجعلنا في مواجهة ضمائرنا، فنحاول الهروب من الواقع، فنقع تحت عتبات الجنون، فُيخيَّل لنا أنهم يحومون حولنا، وما هم إلا نتاج أفكارنا.

سمع صوت ينادي عليه قائلًا:

- يا سامي.. يا سامي..

تلفَّت سامى يمينًا ويسارًا ليبحث عمَّن ينادي عليه فلم يجد أحدًا.

ثم سمع صوتًا يقول له:

- ليه يا سامى عملت كده؟

التفت مرة أخرى قائلًا:

- هو إيه إللي ليه عملت كده؟! مين بيتكلم؟ مين؟ مين؟

التفت بجنون ليبحث عن مصدر الصوت، فجاءه صوت من خلفه يقول:

- مهما بصِّيت حواليك مش هتشوفني، لأنى أنا جواك إنت.
- أنت مين!!
- أنا إللي قصَّرت في حقُه، أنا إللي شغلتك دنيتك عني، ونسيت إننا دم واحد.
- سامح!! سامح أنا... أنا..
- أنت إيه؟ سبتني لوَحدي وأنا لسه جواك.
- أنا ما سبتكش يا سامح.
- لسه قُدامك فرصة يا سامي، لسه قُدامك فرصة واحدة.. يا تلحقها يا تضيع مِنك، بس وقتها هيكون العذاب أشد.
- سامح.. سامح أنت فين؟ رد عليا.. سامح!!

ثم قام سامي فزعًا قائلًا:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

نظرت له نوال زوجته متعجبة قائلة:

- أنت بتكلم مين يا رَاجل أنت وأنت نايم؟

- سامح بيقول لسه في فرصة أعوَّضُه عن تقصيري معاه.

- أنت اتجننت يا سامي ولا إيه؟ سامح مين إللي بيقولك؟ سامح الله يرحمه مات وشبع موت داخل في شهرين، وتقوللي بيكلمك أنت مجنون، فوق يا سامي... فوق يا حبيبي مش ناقصة هبل، وسيبك من جو العفاريت دول ولاد الأبالسة..

جاء صوت من الخلف يقول:

- اسكتي إنتي بدل ما ولاد الأبالسة يخلوكي تعملها على روحك.

انتفضت نوال، وقفزت ممسكة بسامي:

- حابس حابس أشتاتًا اشتوت، عفاريت أخوك طلعوا عليّا، والله ما أقعد يوم واحد معاك يا رَاجل، يا خرابي يا خرابي.

نظر لها سامي متعجبًا قائلًا:

- إنتي بتقولي إيه؟ أنا ما سمعتش حاجة.. إنتي اتجننتي ولا إيه؟

- هو إيه إللي اتجننت يا رَاجل يا خرفان؟! البيت اتسكن خلاص، أنا ماشية وسايبالك مع ولاد المعفرتة دول.

وما أن قالت جملتها، ثم أحسَّت بشيء يدفعها من على السرير لأعلى.. تجهَّم وجهها وأحسَّت ببلل يعتريها من الأسفل ثم ظلَّت تتلعثم بالكلام، وتحاول أن تلفت نظر زوجها إليها قائلة:

- بي بيييبي، إلحقني يا سامي هاتلي شيخ بسرعة أنا اتلبست.

****

أتى سامي بشيخ لزوجته يُقال بأن لديه خبرة بأمور إخراج الجان..

ثم دخل الشيخ حمزة بداخل المنزل، وأول ما دخل أظهر إحساسه بوجود شيء غريب وقال:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

لاحظ سامي ما فعله الشيخ من رد فعل.

ثم اتجها سويًا للغرفة التي تجلس بها نوال وبجانبها ابنه محمد الذي لم يتركهم ليذهب لجامعته بعدما عرف أن أمه مريضة، وأمها التي جاءت مسرعة بعدما عرفت ما حل بابنتها.

دخل الشيخ قائلًا:

- السلام عليكم

ردت أم نوال قائلة:

- وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته، تعالى يا شيخ شوف بنتي فيها إيه، بنتي فيها حاجة وبتعمل حاجات غريبة.

رد الشيخ قائلًا:

- خير إن شاء الله

وسأله سامي قائلًا:

- محتاج حاجة أحضرهالك يا شيخ؟
- لاء يا سامي أنا معايا كل أدواتي، أهم حاجة الكل يجلس في مكانه وإللي قلبُه ضعيف يُخرج برة لأن ممكن تحصل حاجات غريبة زي إن وجهها يتغيَّر وجسدها يعمل حركات غريبة.

ردَّدت أم نوال قائلة:

- عيب يا شيخ قلبنا حديد.

جلس الشيخ مُرتلًا بعض من آيات القرآن الكريم.

وما إن بدأ ورتَّل الآيات تحوَّل وجه نوال ألف درجة، وقامت ووقفت وعينيها تحدِّق ويداها ترتفع للأعلى.

بدأت علامات الخوف على الجميع، وأم نوال تنظر لابنتها، وهي تتحول رويدًا وترتعش، ثم بعد إن تلا الشيخ آيات الرقية الشرعية قال له:

- اخرج منها عدو الله.. اخرج اخرج

جاءه الرد بصوت خشن غير صوتها يخرج من نوال قائلًا:

- مش هخرج منها لأنها أذِتنا.
- أذيتك إزاي؟
- غلطت في معشر الجن واستهانت بينا.
- بس أنت هتطلع هتطلع، وأطلع أحسن بدون أذى لأي حد.

- أنا مقدرش أأذيك ولا سامي، لكن ممكن أأذي أمها لأنها مش مصلّية الفجر حاضر.

وما إن قال هذا ارتعشت أم نوال، وارتعبت، ورفعت حواجبها، وقالت وهي تتلعثم:

- بسم الله، بسم الله، سترك بيا يا رب!! عرف إزاي ده؟

نظرت لها نوال ولكن في الحقيقة ليست نوال بل الجن الذي يلتبَّس بها مُحدقًا قائلًا بصوت مرعب:

- إحنا معشر الجن بنشوفكم بس أنتم ما تقدروش تشوفونا، ونعرف عنكم كل صغيرة وكبيرة أنتم بتعملوها.

ارتعشت أم نوال وأمسكت بسامي بشدة.

نظر له الشيخ قائلًا وبشدة:

- ركِّز معايا أنا وبُص ليا، ما تتكلمش معاها، أنت طبعًا عارف إللي بيأذي حد عقابه كبير عند ربنا، وأنت ما تحبش إنك تدخل النار، توب لربنا، ولأنُه رحمتُه واسعة وهيسامحك، بص أنت تخرج من غير أذية.

ثم أخضع جسد نوال لما قاله الشيخ، ثم تابع الجن قائلًا:

- يا شيخ! يعني أنا ممكن ربنا يسامحني.

- اه ممكن يسامحك لأنك جن مسلم بس عاصي، يلا أخرج بهدوء، ومن غير أذى.. اخرج اخرج

انتفضت نوال، وارتمت على الأرض، ثم بعدها أفاقت واستعادت وعيها.

ثم قال الشيخ لهم ولها:

- حافظوا على الصلوات حاضر، علشان زي ما شوفتم، وسمعتم بنفسكم، من أسباب إن الجن يدخل الإنسان إنه يكون متهاون في الصلاة عن وقتها، وربنا يحفظكم، شغَّلوا القرآن واوعوا تستهتروا بالجن تاني ولا تغلطوا فيهم، لأن غضبهم شديد، واحمدوا ربنا إن الجن ده كان مسلم عاصي، وخرج بدون أذى، وأنا موجود وفى الخدمة لو فى أي حاجة ظهرت تاني.

جلس سامي مع زوجته ليطمئنها ورافق محمد ابنهم الشيخ للخارج، بعدما دفع له مبلغ من النقود، وبعدها عاد، وجلس بجانب أمه وأبيه ونظر لأمه قائلًا:

- لو تبطلي يا أمي استخفافك دايمًا والستات إللي بتعرفهم هتكوني زي الفل.

نظرت له نوال قائلة:

- شوف ابنك يا سامي بيقول إيه قليل الأدب.

نظر سامي لمحمد ابنه مبتسمًا له وغامزًا بعينيه له أنُه قال الصواب، ثم نظر لنوال قائلًا:

- وقليل الأدب ليه هو قال حاجة غلط؟ الواد بينصحك وبيقولك الصح.

- تصدقوا إني أنا غلطانة إني أصلًا قاعدة معاكم، وهو أنا بتكلم مع مين صح؟ ما أنتم الاتنين عليّا.

ثم نظرت لأُمها قائلة:

- أديكي شوفتي البهوات متفقين عليّا إزاي، خودوني معاكي يا أمي.. دول محدش يقعد معهم أصلًا.

- وهما ما قالوش حاجة غلط يا بنتي.. عين العقل إنك تبطلي قعدة مع الستات إللي معندهاش حاجة مش غير خراب البيوت، وتركزي في بيتك.

- لاء بقى أنا كده أنتحر وأخلصكم مني علشان تستريحوا.

ثم سمعت صوت يقول لها:

- هما هيستريحوا لكن إنتي مش هتشوفي الراحة أبدًا وهنفضل معاكي في كل مكان.

وما أن سمعت هذا قالت:

- إل.. إل.. إلحقوني العفاريت رجعت تاني.

ثم أخذت تتنفس بصعوبة، وارتمت على الأرض.

وقف كل منهم في ذهول وخرج سامي مسرعًا ليُحضر دكتور.

****

أحضر سامي الدكتور وبعد أن كشف عليها، وسمع ما تقوله من هلوسة وبعد إعطائها حقن مهدئة قال:

- زوجتك عندها تهيؤات مش أكتر.. واضح إن في حاجة مأثِّرة على نفسيتها، فمخلّياها تتخيل حاجات مش موجودة.

نظر له سامي متعجبًا قائلًا:

- بس يا دكتور أنا جبت ليها شيخ وقال إنها ملبوسة وطلع عفريت منها قدامنا.

- يا أستاذ سامي ده تلاقيه دجَّال العلم ما بيعترفش بالكلام ده، وبعدين إحنا دارسين كل الحالات دي في علم النفس.

- يا دكتور إزاي بس أنا كده إللي هتجنن ده إحنا سمعنا صوت العفريت، وفضلت تهزّ، وتتحرك وتعمل حركات عجيبة.

- كل الكلام إللي عملُه الشيخ ده بيكون محضَّرُه كويس أوي.

نظر له سامي متعجبًا،ثم أكمل الدكتور قائلًا:

- إللي زي الشيخ ده، وعلى شاكلتُه بيكون مخاوي جن وبيخليه في الوقت ده يعمل إللي هو عايزُه يطلَّع صوت، ويقول إللي سمعتوه علشان يقنعكم ويبهركم وطبعًا بالدين وبالحركات إللي حصلت، أنت أصلًا زوجتك عندها تهيؤات من خوف وقلق لشيء عندها ف ده إللي مأثَّر عليها، وكمان مع كلام الشيخ استجاب عقلها اللاوعي وبقى مُهيَّأ إنُه يحس بأشياء لا أساس لها من الواقع، وبنسمِّيه عندنا في علم النفس بمرض اسمه الذهان، وأكثر أنواع الذهان هو (الفصام)، وأهم أعراضه الأوهام، الهلاوس، واضطرابات التفكير.

والأوهام:- وهي عبارة عن معتقدات غير حقيقية، ولكن المريض بيؤمن بيها وبيتمسِّك بقوة بيها مثال زي إن المريض يعتقد إن في حد بيراقبُه، وبيتجسِّس عليه.

وإضطراب التفكير:- أفكاره غير منطقية، وليست ذا مضمون مفهوم، بل إن المريض لا يفهم ما يحدث له

والهلاوس:- هي أن يدَّعي المريض إنه يرى أشياء أو يسمع أصواتًا أو يشمّ رائحة غير موجودة في الواقع، وأكثر الهلاوس هي الهلاوس السمعية، وبالنسبة لمريض الذهان فإن هذه الهلاوس حقيقية وصحيحة، وتُصوِّر له بأنه مراقب من أناس آخرين والأفراد الذين يعانون من تجربة الهلاوس يتصرفون بغرابة شديدة.

وأعراض الفصام قد تفسَّر أحيانًا خطأً وأوقات على إنها مجرد اضطراب المزاج، والحقيقة أن سماع الأصوات ليس بالضرورة أن تكون أعراض الفصام، ولكن قد تكون بسبب أمراض الإكتئاب والقلق النفسي،

وأنا هكتب لحضرتك دواء تقدر هي تمشي عليه مدة شهر كده، وإن شاء الله الحالة تتحسِّن.. بس أهم حاجة يزول القلق إللي عندها، لأن ده هو أساس العلاج، وإن شاء الله خير.. وأهم حاجة ما تسمعوش لأي حد يقولكم إن الشخص ملبوس، وإنُه عليه عفريت والكلام ده، وده كله شغل دجل.. إلا في حالات خاصة أوي أوي بتكون فعلًا لبس حقيقي، واللبس الحقيقي ما بيروحش في قعدة، ده في قعدات كتير، بس زوجتك مفيش لبس عندها.. ده توهُّم عندها نتيجة قلق نفسي، وليه تشخيص مرضي ونتيجة لأسباب.

- والله ما عارف أقولك إيه يا دكتور بجد، العلم نور فعلًا ربنا يباركلك يا رب.

****

(٩)

ولا تُحقرنَّ من المعروف شيئًا، حتى وإن كنت غارقًا في بحر من الذنوب، فإنك لا تدري أي عمل سيكون سبب نجاتك.

خرج حسن في الصباح إلى مقر الشركة لاستلام أوراقُه، وأمام مقر الشركة أخذ يتذكر ذكرياته مع سامح وتذكر في وقت ما.....

جاءت سيدة عجوزة مُسنَّة ذات ملابس رُثة إلى سامح، وهو يقف مع حسن قائلة له:

- عايزه آكل يابنى، حاجة لله ربنا ينجِّيك بها من كل ضيق.

التفت سامح لها قائلًا:

- إنتي نفسك تاكلي إيه؟

ثم نغزه حسن قائلًا:

- يا عم سيبك دول شغلتهم كده.

رد عليه سامح قائلًا له:

- ما دام نيتك خير ربنا هيديك أجر عليها حتى لو إللي قُدامك كان بيضحك عليك.

نظرت له السيدة العجوزة قائلة:

- أنت بتتريق عليا يابني؟

- لا والله يا أمي.. أنا مقدرش أتريق أنا بكلمك بجد، نفسك تاكلي إيه؟

قالت له:

- أنا نفسي بس أسِدّ جوعي مش أكتر.

- طب يلّا تعالى هناكل كلنا في أحسن مطعم مشويات.

ثم بعدها توجهوا لمطعم مشويات، ودخلوا جميعهم سويًا، وظل ينظر حسن له مستغربًا إياه.

وجلسوا سويًا وبعد أن طلبوا الأكل ووُضِع لهم تحدث سامح في وسط الأكل سائلًا العجوزة قائلًا:

- إنتي منين يا أمي؟

- أنا ماليش مكان بعد ما ابني طردني وفضّل زوجته عليّا، ومن ساعتها أنا بنام في الشارع تحت أي كوبري.

- لا حول ولا قوة إلا بالله! هو في ناس كده؟ ابن يُطرد أُمه علشان زوجته!

ثم سألها قائلًا بعد أن انتهوا من طعامهم:

- الأكل عجبك؟

- وده كلام يا بني؟! روح ربنا يطعمك من الجنة يا رب العالمين، ويسترها عليك دنيا وآخرة ويسد أي ضيقة في حياتك.

- الدعوة دي بالدنيا وما فيها يا أمي، إلا قوليلي.. أنت بتعرفي تشتغلي على مكنة خياطة؟

- اه كنت اتعلمتها زمان أيام ما كنت شابة لسه وكنت بشتغل في مصنع.

- جميل جدًا، من النهاردة إعتبري ليكي غرفة إيجار ومدفوعة مقدمًا لمدة سنة، وعندك مكنة خياطة تشتغلي عليها، وتاكلي مِنها عيش.

نظر له حسن مندهشًا قائلًا في نفسه إنت ازاي كده؟ أنت بشر ولا ملاك؟

وما إن سمعت السيدة العجوزة هذا العرض، ثم بكت ونزلت على الأرض، تُقبِّل قدم سامح، ثم نزل على الأرض هو الآخر، وأخذها في حضنه قائلًا:

- إنتي زي أمي ما تعمليش كده، ده أنا إللي أبوس رجليكي إللي هتكون سبب ممكن ربنا يرحمني بيه.

نظر لهما حسن ونزلت دموعه من عينيه على هذا المشهد العجيب، وقال له بعد أن غادرت:

- هو أنت ليه عملت كل ده؟ مع إنك كنت ممكن تأكلها وتديها فلوس وخلاص.

- لأن يا صديقي العزيز إللي اتعلمته إنك؛

طول ما أنت بتعطي السمكة جاهزة يبقى أنت كده ما ساعدتش إللي قدامك بل ضريتُه، لكن لما تعطيه سنارة ويصطاد بيها.. وقتها أنت فعلًا حلّيت أزمة وساعدت بجد.

- أنا عمري ما هقابل صديق زيك، ربنا يجمعنا على خير دايمًا مع إني بستغربك ساعات وساعات...

نظر له سامح قائلًا وبعد أن أحس براحة كبيرة:

- أنا عارف إني إنسان عاصي ومش ملتزم، بس لازم أخلي في حلقة وصل بيني وبينُه لأن لو الخيوط كلها انقطعت، الواحد يضيع يمكن خيط واحد بيني وبين ربنا هو إللي ينجِيني، وأنا إللي في مقدرتي بعملُه، وربنا بس

يتقبل مني، بس أرجوك يا حسن أرجوك إللي شوفتُه ده يكون سر مفيش مخلوق يعرف بيه.

أومأ حسن له برأسه بالقبول، ثم رجع حسن من ذكرياته قائلًا:

- ربنا يرحمك برحمتُه يا صديقي، أنا عارف إن ربنا مش هيسيبك، زي ما فيه إحساس إنك لسه موجود في المكان، وهتفضل عايش بأعمالك،

دخل سامي لمقر الشركة ثم رأى زحام شديد، وجميع الموظفون يلتفون حول أحد، دخل مسرعًا ليُشاهد مَن المُلقى على الأرض؟ ثم أن رأى الذي يسارع الموت، ارتجف بشده وأدار وجهه وعينه عنه وتغيَّر لونه مائة درجة.

****

في الدور الأرضي وفي بلكونة المنزل يجلس كل من سارة وعُمر ليذاكرا دروسهما، وكانت سارة تتظاهر بالمذاكرة ولكنها تفكر في شيء، ما وبعد أن بلغ التفكير ذروته، ألقت سارة كتابها، ونظرت لأخيها قائلة:

- بابا وماما وحشوني أوي يا عُمر.. إمتى هيرجعوا بقى من السفر؟
- أدينا مستنيين يا سارة.. يمكن نلمحهم داخلين علينا، أنا كمان وحشوني أوي.

وفجأة ظهرت قطة بيضاء تحوم حول المكان، وتنظر لسارة وعُمر وتصدر صوت لفت انتباههم، التفتت سارة للقطة وقالت:

- يا عُمر القطة دي شكلها جعانة.
- ودي تاكل إيه بقى؟
- أُصبر هنا، وأنا هدخل لتيته أجيبلها لبن وأشربها.
- ماشي مستنيكي.

قامت سارة لتدخل مُسرعة، وهي تجري وشعرها ذات اللون الكستنائي يطير معها بالهواء، واقتربت من جدتها قائلة:

- تيتة حبيبتي.
- يا عيون تيتة.. عايزة إيه؟
- عايزه لبن يا تيتة علشان في قطة جعانة برة.
- ما هي يا حبيبتي هتلاقي أكل ف الشارع.
- يا تيتة هي جت لينا إحنا.. وماما كانت قالت ليا إني ما أرُدّش حد محتاج.. والقطة محتاجة، ولا إنتي مش عايزاني أكسب حسنات؟

ابتسمت جدتها لها وكادت دموعها تنزل على فراق ابنتها أميمة التي فارقت أولادها في عز شبابها، وقالت لها:

- تعالي ورايا المطبخ.

سارت سارة خلفها، ثم توقفت جدتها أمام الثلاجة، وأخرجت صحن به لبن وأعطته لها، مشت سارة بخطوات بطيئة جدًا حتى لا يتساقط منها اللبن، وقالت لعُمر:

- خُد يا عمر شرَّب القطة مِنهُ.

أخذ منها الصحن ووضعُه للقطة، وما أن وضعُه حتى ظلت تشرب القطة وكأنها كانت لا تشرب منذ شهور، ثم قال:

- ياه يا سارة دي كانت جعانة أوي.

- شوفت بقى، يا رب ماما وبابا ييجوا بسرعة، يا رب أنا بعمل حاجات تفرحهم أهو يا رب، وأنا بس طالبة ييجوا بسرعة.

****

لحظات ورن جرس المنزل.. مشت أم أميمة بخطوات بطيئة لتفتح الباب، وقبل أن تفتح قالت:

- مين إللي بيخبط؟

- أيوة يا ماما افتحي أنا سامي.

فتحت أم أميمة الباب ورَحَّبت بسامي وسلّم سامي عليها ثم قالت له:

- عاش من شافك يا سامي.. مختفي ليه كده؟ ده الأولاد نسيوا إن ليهم عمّ

- والله يا أمي غصب عني، الشغل والمشاغل.

- ربنا يابني يكتبلك الخير هقولك إيه، بس ما تقطعش بيهم كتير كده.. الأولاد مالهمش غيرك دلوقتي.

- ربنا يقدرني على الحِمل ده يا رب.

- طيب أنا هقوم أنده للأولاد تقعد معهم وأعملك حاجة تشربها، ها.. تشرب إيه؟

- لا والله ولا حاجة ما تتعبيش نفسك يا أمي

- عيب تقول كده.. تعب إيه يابني ده؟ هو إحنا ما نعرفش الأصول يعني؟

- لاء ما أقصدش والله، طيب ما دام كده كوباية شاي سكر زيادة.

- ماشي.. أحلى كوباية شاي تجيلك.

ثم دخلت أم أميمة لبلكونة الأولاد وقالت:

- يا أولاد ادخلوا قابلوا عمكم ف الصالة.

دخلوا جميعهم يركضوا وهم يقولون:

- عمووووووو سامي

****

(١٠)

ما أصعب أن تموت وأنت حيّ، ولكن الأصعب أن تتنفس وأنت ميِّت، كم من كثير لا يدركون أن كثيرين يتنفسون لكنهم أموات، وكم من قليل انقطعت أنفاسهم ولكنهم أحياء.

في عتمة الظلام الدامس.. والهدوء القاتل.. وكَتمِة المكان فهُنا لا أنفاس، لا هواء، هُنا فقط رائحة كريهة نتنة، حشرات صغيرة تحوم بالمكان، بينما وسط كل هذا أخذ يستجمع نفسه.. أين هو؟ وما هذا المكان الذي هو موضوع بِه؟

ثم خرج من صمته قائلًا:

- أميمة؟؟

ثم أخذ يستعيد انتباهه ووعيه حتى أحسَّ بشيء غريب قائلًا:

- إيه إللي محاوطنى ده؟؟؟؟

ثم وجد نفسه ملفوفًا بشيء ما ثم أخذ يحاول بكل قوة أن يُحرِّر يدُه مِن ما هو مُقيَّد به حتى خرجت يداه، ونزع القماش من على وجهه لعله يرى، ولكن لا تغيير.. ثم قال:

- إيه ده؟ أنا فين بالظبط؟

ثم وجد قطنة بأنفه وما أن انتزعها تأفَّف وقال:

- إيه الريحة الفظيعة دي! ريحة كلب ميت! لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم أخذ يتحسَّس بيده فإذا بتراب موضوع عليه، فأخذ يتحسَّس ما حوله بيده الأخرى فوجد أن يده تلمس عظامًا وشعر بقشعريرة في جسده، فأخذ يقول:

- إيه أنا فين؟ أنا فين؟

أخذ يحاول الزحف جارًّا نفسه وهو يتحسَّس ما حولُه حتى وصلت يداه لجُمجمة رأس، فقال في رعب داخلي:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. أنا فين؟

أخذ يتحسَّس مرة أُخرى فإذا بجسد عليه سائل ودود تلامس يده فأحس بشعور لم يشعر بِه من قبل، شيء مُقزِّز لأبعد مدى، ثم شَعر وتيقَّن أنه في قبر!!

وما أن استوعب ذلك حتى صرخ صرخة كادت أن تنخلع حنجرته بها قائلًا:

- اه هـ هـ هـ هـ -بصوت مُفجع لا يعلمُه إلا مَن عاش نفس هذا الشعور-

ثم أُغشيَ عليه!!!

****

وبعد سويعات فتح عينيه، ليجد نفسُه واقفًا وحيدًا في أرض خالية تمامًا من البشر.. أخذ يلتفَّت يمينًا؛

إذ بِه يرى طريق أبيض بِه أشجار خضراء رائعة الجمال، ونهر.. وقصور من الذهب والفضة، والنخيل، والأعناب.... فَرِح وابتسم، ثم أخذ يسكشف الجهة الأخرى لينظُر عن يساره؛

إذ بِه يرى طريق أسود ونار تأكل كل ما على الطريق، حتى أحسَّ بحرارة على وجهه لم يستطع لشدة لهيبها أن ينظر أكثر من هذا وأدار وجهه، ثم نظر إلى الأمام وظل يسير حتى شَعُر بعطش شديد كاد أن يموت بِه، فظهر له شيخ كبير بالسن يتوكَّأ بعكاز، ولكن وجهه كأنه شباب.. بدون لحية.. وجهه ناعم شديد النعومة، وبه نور يُضيء المكان بالكامل، ثم اقترب منه وقال له:

- اشرب.. إنت بقالك كتير ما شربتش.

أخذ يشرب بدون أن يسأل مَن هو، فالعطش كاد أن يجعلُه في تِعداد الأموات، أخذ يشرب بلهفةٍ من العطش، ثم تذوق طعمه فعلِم أنه لبن فظلَّ يشرب اللبن وهو يتساقط مِنه حتى ارتوى، وما أن انتهى نظر إلى الشيخ قائلًا:

- شكرًا ليك.. أنت نجدتنى من الموت، بس سؤال أنا فين، وأنت مين؟

نظر له الشيخ محدثًا إياه قائلًا:

- أنت في دار الحق، وأنا عملك الصالح جاي أنجِّيك من إللي غنت فيه.

نظر له سامح بدهشة قائلًا:

- هو أنا مُتّ؟

لم يُعقب الشيخ على السؤال، ثم قال له سامح:

- بس أنا ذنوبي كتير جدًا.

نظر الشيخ إلى سامح وابتسم قائلًا:

- رحمة ربنا سبقت عذابُه يابنى.. وبعدين ربنا حب يرسل لك رسالة إن طريقك طويل ومحتاج لزاد، وأنت في أعمال خير عملتها، اعتبرتها أنت بسيطة بس كانت عند ربنا عظيمة جدًا، والأكثر دلوقتي أنت شربت بفضل ولادك إللي سقوا قطة كانت عطشانة جدًا، والست العجوزة إللي بتدعيلك كل يوم لأنك كنت سبب رزق ليها وفكّيت كربها.

ابتسم سامح بشدة بعد أن علِم أن أولادُه فعلوا هذا الفعل الحسن وأنهم سبب نجاته هم والسيدة المُسنّة.

ثم نظر إليه الشيخ وقد تغيَّرت ملامح الابتسامة إلى الجدية قائلًا:

- بس إياك إنك تطمن بالبُشرى أوي، أنا بقولك طريقك طويل وأنت محتاج زاد... تعالى معايا وشوف إللي أنت ما تعرفهوش، ودي بتعتبر بداية أي حد بيترك الدنيا.

سار سامح وهو يتبع الشيخ، ثم بعد أن سارا طريق طويل وقف الشيخ ونظر لسامح قائلًا:

- انظُر عن يمينك.

وما أن نظر يمينه رأى رجل يجلس خائفًا مُرتعِبًا مِما ينتظرُه بعد أن جئ له ملكان أجلسانِه وجههم مفزع شديد الفزع، ثم جاء رجل وجهة من نور وقال بصوت مُطمئن للرجل:

- ما تخافش واطمن وأبشر بالجنة التي وعدك الله بِها.

ثم سمع صوت تلاوة للقرآن تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (فصلت ٣٠)

ثم سمع بعدها تلاوة تقول:

"وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ". (التوبة/٧٢)

فسأله الرجل الذي يجلس خائفًا قائلًا:

- مين أنت؟ والله وشك كلُه خير وطمأنينة، ومين دول إللي وشهم مفزع مخيف؟

ابتسم قائلًا:

- هؤلاء منكر ونكير يا رجل، أمّا أنا.. فأنا القرآن الذي كنت تقرأه ليلًا ونهارًا، أنا صلواتك في جوف الليل، أنا صدقاتك على المحتاج التي كنت تُخرجها وأنت في أمسّ الحاجة لها، أنا عملك الصالح الباقي لك ولن أتركك.

تبسَّم الرجل واطمئن وبعدها نظر إلى الملائكة الموكلين بسؤاله بمنظرهم المفزع الذين آتوا لمحاسبتُه، وبدأ الحساب كالآتي:

الملائكة قالت له بغِلظة شديدة:

- ما هو دينك؟

رد عليهم الرجل بكل هدوء قائلًا:

- ديني الإسلام

وتبسَّم. .

- ومَن النبي الذي بُعث فيكم؟
- محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

ثم تبسم:

- وما يدريك؟

فرد قائلًا:

- قرأتُ في كتابِ اللهِ، فآمنتُ به وبجميع رُسلُه وصدَّقت.

ثم تبسم، ثم سمع مُنادٍ من السّماءِ يقول:

- أن صدق عبدي، أروه مقعده من الجنة.

ثم تبدَّلت رائحة المكان إلى مسك، واحضروا له ضياء من نور يُضئ له المكان من حوله، وقالوا له هذا عملك الصالح من صلاة وتسبيح والقرآن الذي كنت تتلوه ليل نهار، هذا هو باب الصدقات، هذا هو مساعدة المحتاج، هذا هو القول الحسن، وجبر خواطر الناس، فاليوم نجزي المُحسنين إحسانًا.

ثم ضُيِّق عليه القبر وضُمَّ ضمة حنان، لأن من تكون أعمالُه صالحة يكون عناق القبر له كضمة أم لرضيعها، ضمة إشتياق، ولأن ضمة القبر لا ينجو مِنها أحد إلا الشهيد ، والشهيد أيضًا لا يُحاسب..

ثم قالوا له: أُنظر أمامك سيفتح لك باب لتنظُر إليه طوال حياتك البرزخية لمقعدك من الجنة.

ثم ما أن نظر تهلَّل وجه الرجل، وتبدَل وجهُه إلى نور ساطع لا مثيل له، وظل يقول:

- ربي أقم الساعة.. ربي أقم الساعة، فأنا متشوق للجنة.

وفي رحلته البرزخية وجد أمه وأباه اللذان سبقاه من قبل، وجلس معهما يتحاكون فيما كان في الدنيا ويسألانُه عن ما حدث بعدِهما، وسألهم: أين خالي؟

قالوا له: وهل هو مات أيضًا؟

- نعم مات.. كيف لا يتواجد معكم؟

ردُّوا عليه قائلين:

- لم نرَ روحه حتى الآن!

تبسَّم سامح جدًا وانشرح صدره مطمئنًا، ثم ابتسم له الشيخ قائلًا:

- ربنا يجعلك مثلهم.

ابتسم سامح قائلًا للشيخ:

- آمين.... ولكن يا شيخ عندي سؤال عايز أعرفُه!
- إتفضَّل يا سامح إسأل
- هو ليه ما اجتمعوش بخال الرجل ده أو أخوهم كده؟
- أنظر يا سامح الحياة البرزخية لها قوانين مثل الدنيا.. وما دام مات ولم يروه يا سامح يبقى كانت أعمالُه سيئة ودخل النار والعياذ بالله، لأن الأموات لا تتزاور إلا لِمَن مِثلها، يعني أهل الجنة مع بعضهم البعض، وأهل النار مع بعضهم البعض.. حفظك الله منها.
- لا حول ولا قوة إلا بالله!
- عليك الآن أن تنظُر إلى شِمالك.
- قبل أن أنظُر يا شيخ عايز أعرف فين أُميمة زوجتي؟؟
- السؤال ده غير مكلَّف بالرد عليه، ولكن أُبشرك إنك ستعرف إجابتُه عمَّا قريب.

أخذ سامح يُحرك رأسه إلى الشِمال ببطء شديد من شدة جمال ما يراه من مقعد الرجل في الجنة، وبعد أن نظر شِماله.

وجد رجل مُمدَّد نتن الرائحة ثم جاءه ملكان مفزعان سود الوجوه.

ففزع الرجل وأسود وجهُه أكثر، وحاول سامح أن يغمض عينه، ولكن لم يستطع، وجاءه أيضًا رجل أكثر سوادًا من المكان، ومفزع بشيء ينخلع له القلب.

فسأله الرجل الذي يجلس مرتعبًا:

- أنت مين ياللي وشك مليان كلُه شر؟

رد عليه مُجيبًا:

- أنا تهاونك عن الصلاة، أنا الظُلم الذي كنت تظلمُه للضعفاء، أنا المال الحرام الذي جمعتُه، أنا أكل الربا الذي كُنت تأكلُه من البنوك وغيرها، أنا الأغاني التي عشت عليها وتركت بسببها القرآن، أنا عملك السيء في الدنيا.

فزع الرجل بشدة وظل مرتعبًا، فهو كان لا يحسب أي حساب لهذا اليوم.

وبعد أن أجلساه الملكان بتعنيف سألاه قائلين بصوت كالرّعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف:

- ما هو دينك؟

أخذُه الصمت والفزع من هول المنظر، وحاول أن يستدعي الإجابة، ولكن لم يقدر وظل يتأتئ، قائلًا:

- ها ها ها

قال سامح في حسرة:

- إيه إللي مانعك؟ قول الإسلام، قول أي حاجة.

ولكن هيهات أن تكون بهذه السهولة، ظل هكذا بضعة من الوقت ولا يجد إجابة، ثم عاود الملكان سؤالهما قائلين:

- ما النبي الذي بُعث فيكم؟

لم يعطهم إجابة، وظل يُتهته، فسمِع مُنادٍ من السّماء يقول:

- أن كذب عبدي فافرشوا له من النّار، وألبسوه من النّار، وافتحوا له بابًا من النّار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

ثم أحضروا له رجل آخر قبيح الوجه من السواد نتن الرائحة ومعُه مطرقة من حديد، ثم قالوا للرجل: - هذا عملك السيء من قطيعة رحم وعقوق والدين، وكنت بعيد عن ذكر الله وانشغلت بالأغاني عن القرآن، وكنت لا تصلي، وإن صليت كُنت تُؤخرها عن أوقاتها، وكنت تتكلم على الناس بالسوء وكنت تظلم الضعفاء، وكانت أحاديثك كذب، عشت حياتك كلها في الملذات وتناسيت يوم لقاء الله فاليوم تُنسى.

ظل سامح ناظرًا للرجل وهو يرتجف من هول ما يراه، ويبكي دمًا على كل وقت أهدرُه في غير طاعة الله، على كل وقت كان مُنشغل فيه ليجمع المال ليؤمّن حياة مستقبل أولاده وزوجته، ونسي أن التأمين الحقيقي هو النجاة من النار، والفوز بالجنة.

ثم رأى الملكين السود الوجوه يقولون للرجل:

- سيفتح لك الآن باب ترى بِه مقعدك من النار جزاء بِما كنت تعمل، أخذ الرجل يصرخ صرخات لو سمعها أهل الأرض لفزعوا ولَما ناموا في فراشهم وتلذَّذوا بنسائهم، قائلًا:

- ربي لا تقم الساعة، ربي لا تقم الساعة، ربي ارجعني لعلّي أعمل صالحًا وأتصدق.

ولكن جاءه رد الملكان عليه قائلين:

- للأسف انتهت حياتك ودلوقتي قدامك حياة برزخية طويلة ليوم البعث، وده جزاتك.. والله ليس بظلام للعبيد.

ثم نظر سامح للشيخ سائلًا إياه:

- هو ليه في عذاب ونعيم وليه ربنا ما جعلش الجميع يدخل الجنة؟

- لأن ربنا ما خلقش الناس عبثًا، وأيضًا تقدر تقوللي لو ما كانش في حساب الناس إللي بتظلم وتفتري وتتجبر، إزاي يدخلوا الجنة أو يستويان مع الناس إللي بتعمل أعمال صالحة خير وما بتظلمش؟ ربنا من صفاتُه العدل.. ولو ما كانش فيه حساب وآخرة كان كده هيكون في ظلم، وللعلم ربنا غفور رحيم في حقوقه هو، لكن حقوق الغير ما بيسامحش فيها إلا بمسامحة إللي وقع عليه الظلم.

- طب سؤال كمان يا شيخ..

- إتفضل يا سامح

- الناس أصحاب الديانات الأخرى هيكون حسابهم زينا ولا هيحصل إيه؟ وفي ناس ما تعرفش الصح.. مش كده الناس دي تتظلم؟

- الله سبحانه وتعالى قلت لك لا يظلم وكلٌ يُحاسب وفق لظروفه هو، والله حاشاه أن يحاسب إنسان لم تصل له الحقيقة والبينة، ولكن وقتها سيكون حِسابه على أعمال الخير والشر التي هي شيء راسخ لكل إنسان وأي شخص يقدر يفرق بين إن العمل ده خير أو شر يا سامح.

ثم قال سامح في خوف مما رآه وفزعًا قائلًا:

- لقد أجبتني بسؤال كان يراودني كثيرًا؛ أرجوك يا شيخ دلني على الطريق الصح لأني تايه، إزاي أعدِّي من دي أهوال؟ إيه إللي ينجيني من إللي شوفتُه؟

- الجواب إنك تتجنب الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، مثل الشرك بالله، والنفاق، والكذب، وهجر القُرآن، بعد تعلُمُه، والنوم عن الصلوات المكتوبة، أكل الربا، الزنا، عدم الإستبراء من البول، ده أمر عظيم يغفل عنُه الناس، النميمة، وإنك تُجر بنطالك على الأرض بتكبُّر، وأن يكون عليك دين وإنت قادر على تسديده، وإنك تعرِض عن ذكر الله، وإنك تصوت على ميت، وإنك تفطر في رمضان بدون عذر، والسرقة، وأمر الناس بالبر ونسيان النفس؛

وخلّي بالك من نقطة ناس كتير بتنساها إنهم يفضلوا يصلحوا الناس وتاركين نفسهم وأهل بيتهم، وأنت أصلًا محاسب على نفسك ومَن تعول فقط، وأمّا مسألة إصلاح الآخرين تأتي بعد إصلاح النفس ومَن أنت مسؤل عنهم.

- ودي حاجات تنجيك من عذاب القبر والنار أيضًا؛

الإيمان، التقوى، العمل الصالح، الاستقامة على طاعة الله عز وجل، قراءة سورة تبارك كل ليلة مُنجية من عذاب القبر، والتوبة الصادقة ودي مقصود بيها الندم وإنك ما ترجعش عن عمد في الخطأ ده تاني..

وأقولك على حاجة تعملها كل يوم بعد انتهاء يومك، وأنت ذاهب للنوم توضأ، وحاسب نفسك على كل ما فعلته طوال اليوم، وصلى ركعتين توبة لله فإن مت في ليلتك كنت من التائبين، وإن استيقظت استيقظ فرحًا مسرورًا أن الله قام بتأخير أجلك، وإن في وقت تُزيد بِه من أعمال الخير.

ولا بُد أن تعلم إن القبر أول منازل الآخرة، ومن مات فقد قامت قيامتُه الصغرى فتهيَّأ لهذا لأنه يأتي على غفلة، ولك في هذا قدوة؛ سيدنا عثمان رضي الله عنه كان لا يبكي عند سماع حديث عن النار ولكن كان يبكي عند سماع حديث عن القبر، وعِندما سألوه قال:

- لأن القبر هو أول منازل الآخرة.

والبداية تبدأ من سكرات الموت، وهذه فتنة أخرى شديدة البلاء لذلك دعا النبي أن يهوِّن سكرات الموت على أُمَّته وكل إنسان سكراته تكون على حسب أعماله، وأيضًا يُزال الغشاء للإنسان من على عينيه وقت موته ليرى مدَّ البصر الحقيقة التي كان لا يراها طوال حياته، حينما ترى جنازة فهذه أول مرحلة من مراحل الآخرة، تمشي في الجنازة فيفتح القبر، ويفتح النعش، وتحمل الجثة، وتوضع في القبر، يكشف عن وجهه، توضع الرخامة، ويُهال عليه التراب.. وانتهى الأمر، هذا الميت دخل أول منازل الآخرة، فإن نجى منه فما بعدُه أيسر مِنه، وإن لم ينج مِنه فما بعده أشد مِنه.. لذلك؛ ورد في الأثر القدسي:

(وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه، إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقمًا في جسده، أو إقتارًا في رزقه، أو مصيبة في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه)

إذا أمكن أن يذوق المؤمن من متاعب الحياة الدنيا، ثم ينتهى به المطاف إلى أن يصل إلى القبر طاهرًا مُطهَّرًا فهو في أعلى درجات النجاح الحقيقية الباقية وليس نجاح زائل.

تبسَّم سامح وشعر بالأمل والإطمئنان.

ثم أردف الشيخ قائلًا:

- أنت شفت وعشت إللي غيرك ما شافهوش مع أن ربنا حذركم كتير، ولكن الكل منشغل، ويعتقد إنُه بعيد عن الموت وكل هذا باعتقادُه بطول الأمل، ويظل يُسوِّف التوبة إلى أن يُداهمه ملك الموت...

واعلم كل العِلم أن حياتك كلها ما تجيش ساعة في الآخرة ولا حتى ثانية، وإللي هتعيش عليه هو إللي هتموت عليه يا سامح،

إحمد ربنا أنت جاتلك الرسالة، وعندك لسه فرصة تصلح وربنا هيسألك عن إنه بعتلك رسالة مِني ليك، يا ترى إنت عديتها ولا كأنك سمعتها، ولا أخذت بيها وحوِّلتها لفعل في حياتك وفزت دنيا وآخرة؛

فوق يا سامح.. فوق؛ لأنك هتتسِأل عن قطرة المياه، عن كل هفوة وهمسة همستها وعن النَفّس الواحد، وعايز أبشرك بإن ربنا بيحبك، والله ربنا بيحبك لأنُه بعتني ليك أحذَّرك وأقولك على طريق الجنة، والنجاة من النار،

ولأن ربنا لما بيحب حد بيبعت ليه رسايل في هيئات كتير، حادثة أو موت عزيز علشان يتَّعظ أو في كلام حد بيذكره بربنا أو في كتاب يقرأه في أي وسيلة كانت.

ابتسم سامح للشيخ، ثم اختفى فجأة الشيخ من أمامه، ووجد نفسه وحيدًا في الأرض.

(١١)

ما أصعب أن لا تجد مَن يدعُو لك بعد وفاتك، والأسوأ أن تفضحك أعمالك السيئة أمام العامة، فأنت مَن يُقرِّر في أيّ فريق يجب أن تكون.

بينما يقف حسن مذهولًا وسط الموظفين بالشركة المُلتفين حول مديرهم (المهندس عماد السيوطي) الذي كان بصحة جيدة ثم بدون سابق إنذار وقع على الأرض يحاول أخذ أنفاسه، التي تحتبس، ولا تريد الدخول أو الخروج، ثم تحول الوجه الأبيض إلى سواد، ونظرات عيونُه كأنها تشاهد أقوى مشاهد الرعب والقشعريرة، وظل على هذه الحالة دقائق، ثم هتف قائلًا:

- مش هروح معاكم، مش هروح معاكم ابعدوا عني، ابعدوا النار دي عني.

وقف الجميع يشاهدون ما حلّ بمديرهم الذي كان شديد الجبروت، الآن هو يشاهد مصيره الذي أعدَّه منذ سنوات، من ظلم للحقوق ومن لسان متسلط على أعراض الجميع، ثم أغشيَ عليه، وبعدها بلحظات جاءت الإسعاف لنقله للمستشفى، بينما ظل حسن مذهولًا لا يعلم هل يبتسم ويفرح فيمَن ظلمه، وافترى على صديقه وهو يشاهد آيات ربنا تحل بِه، أم هل يحزن على ما حل به، فهو في الأول والآخر إنسان ومهما كان لا يريد لأحد أن يُعذَّب.

وقف رجال الإسعاف قائلين للموظفون:

- مين هيرافقنا؟ لأن لازم يكون حد معاه.

رد أحد منهم قائلًا:

- لا أنا مش هاجي معاه.. ده واحد ياما ظلمنا ربنا يجحمُه.

ورد آخر:

- ولا أنا، خليه يدوق العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

ثم وابتسم قائلًا:

- الحمد لله يا رب دعواتي استجيبت.

ثم خرج حسن عن الصمت قائلًا لرجال الإسعاف:

- أنا هكون معاكم.

تعجَّب الموظفون من موقفه وقالوا له:

- إزاي تروح معاهم لواحد زي ده! نسيت عمل فيك إيه والكلام إللي طلَّعُه بعد موت سامح؟ ده ما سَابش لا حي ولا ميت.

نظر لهم قائلًا:

مهما كان ده إنسان؛

مش إحنا إللي نحاسب، لإن الحساب ده من خصوصية ربنا، وأنا كشخص أنا كرهته ودعيت عليه بس كواجب إنساني لازم اقف جمبُه وأروح معاهم لله فقط،

ولو أنتم فيكم واحد ما بيغلطش في حياته وملاك ما يبقاش يمشي في جنازتُه ولا أي جنازة .

ثم تحرك وركب سيارة الإسعاف معهم وذهبوا إلى المستشفى.

وبعد بضع من الدقائق وصلوا إلى المستشفى وأخذ الأطباء يفحصون (المهندس عماد)، ثم وضعوه على جهاز الأُكسجين الصناعي، وبعدها جاء الطبيب لحسن وهو يقف بالخارج قائلًا له:

- أستاذ حسن للأسف المريض دخل حالة غيبوبة ومش مفهوم سببها إيه، وبسبب عدم صعوبة تنفسه وضعناه على جهاز التنفس الصناعي وهيحتاج يفضل كام يوم لغاية ما نشوف الحالة هتوصل لأيه؟

نظر حسن قائلًا للدكتور:

- على العموم هستأذن أنا دلوقتي وهبقى أحضر من وقت للتاني أطمن عليه.

- طب قبل ما تمشي خذ المتعلقات الشخصية الخاصة بيه تكون معاك، ويا ريت لو حد من أهله يكون على عِلم ويكون جمبُه في الوقت ده.

أخذ حسن متعلقات مُديره من الموبايل الخاص، المحفظة، وكل شيء يخصُّه وخرج من باب المستشفى متعجبًا من كل ما يحدث!، وكيف يكون هو مَن يساعدُه للشفاء، ثم أخذ يُمسك الهاتف الجوال، ويُقلب في الأرقام الشخصية من أجل أن يُبلغ أُسرته ويتولوا هم الموضوع، ثم وجد اسم... باسم (أخي تامر)، فاتصل عليه وبعد وقت رد قائلًا:

- الو .. أستاذ تامر معايا؟

- اه مين حضرتك؟

- للأسف أنا بكلمك علشان أبلغك إن أخوك المهندس عماد وقع مرة واحدة في الشركة ونقلناه للمستشفى وهو في غيبوبة دلوقتي، فيا ريت لو تيجي تاخذ حاجتُه وتكون جمبُه.

- ياااه أخيرًا وقع.. ده كان غم، ظلمني وأكل حقي بعد ما والدنا ما مات، للأسف أنا مشغول ومش هقدر آجي، وده واحد محدش يقف جمبه، أنت أصلًا إزاي بتكلمني علشانه وإزاي تساعدوه لنقله للمستشفى؟ ما تسيبوه يموت ويغور.

- والله إحنا دلوقتي مش وقت كلام في أفعالُه.. هو دلوقتي بينازع الموت، وده إنسان مهما كان وأخوك، يعنى المفروض تنسى أي حاجة دلوقتي، وتساعدُه وتكون جمبُه.

- أخويا ياكل حقي؟ أخويا يظلمني ويتكلم في عرضي أنا ومراتي؟ أقولك.. أنا متبرّي من دي إخوة يا سيدي ويا ريت يموت ونرتاح، ويلّا بقى علشان النمرة غلط، وإنت أخدت من وقتي كتير.

ثم أغلق السكة، وأخذ حسن يقول: الووو الووو

وبعدها قال في نفسه:

- حتى أخوك ما سبتهوش وظلمتُه! لا حول ولا قوة إلا بالله.. حصل إيه في الدنيا دي؟ أديك أهو بين الحياة والموت والله أعلم أنت شايف إيه دلوقتي، كسبت إيه قوللي؟ إيه يستاهل علشانُه تعمل كده؟

ليه أصلًا أي واحد ليه يظلم ويفتري على خلق الله والنهاية كلنا عارفينها؟؟؟

****

وقفت أم أميمة تنظر لابنتها التي ترتدي فستان أبيض، وتاج من نور بعد طول غياب قائلة:

- أخيرًا شوفتك يا أميمة يا بنتي؟ أنا كنت حاسة إنك عايشة لسه، ليه ما كُنتيش بتحكي عن العذاب إللي كُنتي عايشة فيه مع سامح ؟ ده أنا لو كنت لحقته قبل ما يموت كنت خلصت أنا عليه.

- سامح أنا كنت ظالماه يا أمي ومش هو إللي عيّشني في عذاب، أنا إللي كنت معيّشة نفسي بأفكاري، هو كان مشغول عني علشان يعيِّشني أجمل عيشة وما عرفتش كده غير بعد ما مشيت من الدنيا دي، وبقيت في دار الحق.. دار الحياة بجد إللي مافيهاش موت، شكرًا ليكي إنك إديتي اللبن لسارة تشرَّب القطة، أنقذتني من ذنوب كنت بسببها هتعذِّب وأنقذتي سامح وإديتيه فرصة ياخد بالُه من الأولاد، سامح عايش يا ماما، سامح عايش.. يا ريت تلحقوه .

قفزت أُم أميمة على شهقة وعلى آذان الفجر قائلة:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. إيه ده معناه إيه؟ مستحيل!!
بس أكيد دي رؤية، الأموات معروف إن رؤيتهم حقيقية!

يعني إيه سامح عايش يا ريت تلحقوه؟؟ يا رب معقول! مستحيل يكون عايش، ده اتدفن يوم ٢٠١٧\١١\٢٧ وإحنا النهاردة ٢٠١٨\١\٢٢ يعني فاضل كام يوم ويكمِّل شهرين!!!

****

وصل حسن إلى البيت فوجد إيمان بالمطبخ ثم اقترب منها وهي تحضر الطعام، ووضع يده على خصرها وقبلّها قبلة رقيقة على رقبتها قائلًا:

- وحشتيني.

- وأنت كمان يا حبيبي.

- عاملة إيه دلوقتي؟

- الحمدلله، أحسن بكتير.

- إيه فاضل كتير ع الأكل ولا أدخل أنام شوية؟

- تنام إيه! الأكل خلاص جهز، دا أنا عاملالك فراخ ف الفرن بقى ما أقولكش ومعاها صنية مكرونة بشاميل هتدعيلي.

- بدعيلك من غير حاجة، طب يلّلا بقى بسرعة عشان ألحق آكل وأريَّح.

- مفيش راحة حبيبي أصلًا، إحنا عندنا النهاردة تحاليل، وبعدين ع الدكتور، إيه نسيت ولا إيه؟!

- ياااه.. دا أنا نسيت فعلًا خالص، حقك عليّا، طيب ماشي خير، يللا ناكل ونزل.

أحضرت إيمان الصينية التي بها الطعام وجلسا أمام التلفزيون يأكلان، وبعد أن انتهيا، دخلت إيمان غرفتها لتحضر ملابسها وتتجهَّز للنزول بينما

جلس "حسن" منتظرها، ويفكر في الأمور التي تحدث له، وماذا عن هذا المُلقى في المستشفى، وهو الآن أمام المسؤولية بعدما تركه الكل وحيدًا يواجه عذابه.

خرجت إيمان من الغرفة جاهزة ثم نزلا سويًا للذهاب إلى المشفى لعمل التحاليل، والعرض على الطبيب.

****

جلس كُلًا من حسن وإيمان أمام الطبيب بعدما أجرت إيمان جميع الفحوصات، بينما الطبيب يطالع نتيجة التحاليل، ويراه حسن يرفع حاجب ويُنزل الآخر وكأنه مندهش من شيء ما..

توترت أعصاب "حسن" بينما كانت "إيمان" تجلس بثقة كأنها ليست بالمريضة التي يتفحصون نتيجة تحليلها.

ثم بعد أن انتهى الطبيب من مُطالعة التحاليل نظر لهما بدهشة، ثم نظر مُحدقًا لإيمان وسألها قائلًا:

- إنتي عملتي إيه ف الشهور إللي فاتت؟!

نظر "حسن" متوترًا قائلًا في نفسه:

- يا رب هوّن علينا إللي إحنا فيه، يا رب خير.. أعصابي مش مستحملة خلاص.

ثم نظر لزوجته ورآها تجاوب الطبيب قائلة:

- أنا كنت ماشية على الكبسولات وكل أكلي كان من غير دهون، نيّ ف نيّ من غير زيوت، أكلت فاكهة كتير زي ما قلتلي، وبصراحة حسن مش مخليني عاوزة أي حاجة، هو سر فرحتي.

نظر لها الطبيب متعجبًا وتبسَّم لها، ونظر لحسن قائلًا:

- طبعا إللي متجوزة من واحد زيك، وإن واحدة تقول كدا على جوزها تبقى ساحر لها، وواضح كدا إنك أنت سر العلاج.

عايز أقولك يا مدام إيمان إنك اتعافيتي بنسبة ١٠٠%.. ودي حاجة معجزة.

نظر كُلًا منهما لبعضهما وابتسما وأخذا يُعانقان بعضهما البعض من الفرح.

ثم دمعت عيناهما، وسجد حسن شكرًا لله قائلًا:

- الحمدلله يا رب، الحمدلله إنك شفيت أغلى حاجة عندي.

نظر لهما الطبيب، ولم يقدر على كِتمان فرحتُه بِهما وقال لهما:

- ربنا يحفظكم لبعض، يا ريت كل إتنين متجوزين زيكم، والله ما كانش حد بقى عيان.

ثم أردف قائلًا:

- لو كل إتنين عرفوا يعني إيه إهتمام هيعرفوا يعني إيه حياة بجد. أهم حاجة حافظوا على الحب ده.

رد حسن قائلًا:

- شكرًا ليك يا دكتور، وإن شاء الله العهد دا واخدينُه من زمان إننا نحافظ عليه لحد آخر نفس لينا.

ثم خرج حسن وإيمان وهما مُمسكين بيد بعضهما البعض ومبتسمين إبتسامة جعلت كل من بالمشفى يقولون:

- إيه المجانين دول؟! في حد ييجي هنا ويطلع مبتسم كدا! دول شكلهم تراللي خالص.

خرجا من بوابة المشفى. ثم أخذت إيمان يد حسن وأخذت تركض بِه قائلة بعلو صوتها لحسن:

- بحـــــبـــك، بحـــــبـــــك يا أحلى زوج ف الدنيا.

غير عابئة بنظرات الناس التي كانت تُحيطهم من كل جانب، وخرج الناس من النوافذ ينظرون على الزوجان المبتهجان الخارجان من المستشفى لتوِّهما.

وفجأة توقفا وأخذ حسن إيمان بالحضن، وأمطرت السماء مطرًا.. فصرخت إيمان:

- هيييييه... فرحانة أووي، إدعي الدعاء ف المطر مستجاب.

- ربنا يحفظك ليا، دي أجمل دعوة .

ثم دعا دعوة أخرى:

- وقال يا رب اشوف سامح تاني، وعارف إني بدعي دعاء مستحيل بس قلبي بيقوللي إنُه لسه حيّ.

ثم نظرت له إيمان قائلة:

- إيه إللي بتقوله دا؟! مالُه سامح؟؟؟

نظر لها حسن بعدما تبدَّل وجهه من الفرح للحُزن قائلًا:

- سامح مات هو وزوجتُه يا إيمان بعد ما إنتي تعبتي.

نزلت الكلمات كالصاعقة على إيمان وتغيرت ملامحها قائلة:

- إنت بتقول إيه؟؟

إزاي دا حصل. وإزاي خبيت عليّا؟ وإزاي كنت بتظهر قصادي إنك مبسوط ومفيش حاجة، وأنت من جواك حزين وبتفرحني؟

- لأنُه ما كانش ينفع أحسِّسك بأي حزن أنا عايشُه، ولأن كان مهم إني أسعدك ف كل لحظة عشان تخفّي من المرض اللعين.

أخذت إيمان نفسًا عاليًا ونظرت للسماء ثم لحسن قائلة:

- يااه يا حسن، كل دا حصل؟ دا أنت عانيت كتير أووي، وكل دا عشان بس تشوفني سعيدة؟! وإنت من جواك بتموت.. أصعب حاجة إنت عملتها ف الدنيا ومفيش حد يعمل كدا إلا حد زيك بجد،، مش قلتلك إنك جنتي؟ أنت فعلًا جنتي ف الأرض يا حسن.

- وإنتي يا إيمان ربنا يعلم حبي ليكي قد إيه وهفضل أفرَّحك حتى لو كان من جوايا نزيف دم.

- ربنا يحفظك ليا ويسعدك.

****

وسط ظلام الليل دخل سيد وشوقي بين المقابر ليختارا مقبرة متوارية ليجلسا بجانبها حتى يتلذَّذا بسيجارة حشيش بعيدًا عن أعين الناس والحكومة، وما أن دخلا في منتصف المقابر هرول شوقي قائلًا:

- تعالى نريَّح هنا يا سيد، حلوة أووي المُكنة دي.

- تمام يا صاحبي، دايمًا بتختار مُكنة مخفية إيه.. لوز، يلا طلّع السجاير والحشيش خلينا نلف سيجارتين نعمَّر بهم الطاسة ونخرج برا دنيا الهم والغم دي.

ثم جلسا على باب المقبرة يلفَّان السجائر.

****

استعاد "سامح" وعيه.. وأخذ يزحف حتى وصل إلى سلم المقبرة قائلًا:

- يا رب إديني القوة عشان أخرج للحياة تاني.

ثم أخذ يصرخ: يا الله!!!!

سمع سيد صوت من أسفل المكان الذين يجلسون عليه، ثم أخذته انتفاضة مُفزعة.

- شوقي أنا سمعت حاجة من تحتينا... يلّا يا شوقي بقولك سمعت حاجة من تحت المقبرة دي.

نظر له شوقي قائلًا بضجر:

- سمعت إيه بس؟ أُمال أنا ما سمعتش ليه ؟ هو أنا أشرب وأنت تتسطل؟.. أقعد بقى وإهمد.

أخذ سامح يزحف على السلالم حتى وصل إلى باب المقبرة قائلًا بعلو صوته:

- يا عالم ياللي هنا.. أي حد يفتحلي، أنا عايش.

ثم أخذ يضرب بكلتا يديه على باب المقبرة، وما أن سمع سيد وشوقي هذا الكلام حتى أخذا يرتجفان، وصرخ سيد بصوت ينتابه الفزع:

- عمَّال أقولك في صوت هنا، المكان دا مسكون.

حاول شوقي أن يتظاهر بالقوة ويتمالك نفسه قائلًا بصوت مهزوز الثقة:

- يا عم وهو إحنا هنخاف من شوية عفاريت مالهمش لازمة؟ استرجل كدا أُمال.

ثم أخذ سامح يصرخ ويضرب على الباب:

- إفـتـــــحـــولي يا عالم.

انتفض شوقي وسيد فزعًا قائلين:

- بينا نجري من هنا، المكان فيه عفاريت.

رد سيد قائلًا:

- قال إيه بيقول إفتحولي... يخربيت أمُك عفريت بجج كمان.

وأخذا يجريان ويلهثان بعيدًا عن المقابر، بينما ظل سامح يضرب على الباب ويصرخ، ولكن لا أحد يستمع له حتى فقد وعيه.

****

أخذت أُم أُميمة تفكر كثيرًا ولا تعرف كيف تنام، ثم قالت في نفسها:

- أعمل إيه في الرؤية دي؟ لازم أعمل حاجة، أكيد في لغز.

يا ربي هو ممكن سامح فعلًا يكون لسه عايش؟

بس إزاي ف القبر والوقت ده كُله ويكون لسه عايش؟ دا مستحيل و من رابع المستحيلات وبعدين إحنا مش في زمن المعجزات يعني ولو كان عايش ف زمانُه مات!! لا لا.. أنا هكلم أخوه وأكون عملت إللي عليّا ويشوف صِرفة.

ثم أخذت الموبايل من على الكومدينو واتصلت على سامي، وبعد أكثر من اتصال رد عليها قائلًا:

- الو.

- أيوة يا سامي ازيك عامل إيه؟.. معاك أُم أميمة.

- إزيك أنتِ يا أمي.. والله أنا بخير وأهو الواحد بيحاول ينسى بس برضو في حاجة غريبة ومش عارف أقاوم إحساسي دا إزاي.

- أنا برضو كنت متصلة بيك علشان أقولك لازم تحاول تروح تفتح قبر أخوك سامح.. أنا شوفت رؤية إنه بيستنجد .. هي مستحيلة بس قلبي فيه حاجة، وقلت أقولك وأنت أخوه ومن حقك تُطلب فتح المقبرة.

- إنتي بتتكلمي بجد يا ماما؟ يا رب يكون كدا فعلًا، أنا برضو في إحساس بكدا وعمَّال أسمع صوته ف وداني، لو كدا هروح بكرا وقبل ما أروح هتصل بصاحبه حسن ييجي معايا ونشوف الموضوع دا، ويا رب يكون خير.

****

استيقظ حسن في الصباح الباكر على رنات تليفونه التي أخذت تتكرر..

ثم رد قائلًا بصوت خافت:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.. أستاذ حسن معايا؟

- اه .. مين حضرتك؟؟

- آسفين ع الإزعاج .. مع حضرتك شريف من مستشفى الإخلاص، بكلمك بخصوص المريض المهندس عماد السيوطي، محتاجين حضرتك تحضر ضروري دلوقتي.

- طيب مسافة السكة وأكون عندكم إن شاء الله.

استيقظت إيمان من نومها ونظرت لحسن قائلة:

- في إيه يا حسن؟
- معلش يا حبيبتي لازم أنزل دلوقتي، المدير في الشركة إللي حكتلك عليه واضح إنُه بيطلَّع ف الروح ومحتاجِنّي في المستشفى.

ربَّتت على كتفه قائلة:

- ربنا معاك يا حبيبي.. لعلُه خير.

نظر لها حسن بدهشة قائلًا:

- خير إيه بس من ورا المدير دا؟ ربنا يتولاه برحمته من إللي عملُه في الناس.

- برضو لعلُه خير يا حسن.. ساعات الحاجات الوحشة بتكون هي سبب فرحتنا بعدين، بس قول لعلُه خير دايمًا.

- هقول إيه.. لعلُه خير ما دام إنتي شايفة كدا.

****

وصل حسن إلى المشفى ثم دخل إلى الإستقبال سائلًا رجل يقف عليها قائلًا:

- حضرتك الأستاذ شريف إللي كلمتني؟

- اه يا فندم أنا الأستاذ شريف أهلًا بيك إتفضل.

- أنا حسن تبع حالة المهندس عماد السيوطي.

- أهلًا بيك يا فندم.. ثواني أدخلك للدكتور.

- إتفضل.

دخل الأستاذ شريف لغرفة الدكتور ثم بعد بضع لحظات خرج قائلًا:

- أستاذ حسن.. إتفضل.

دخل حسن على الطبيب مُسلّمًا عليه بيده:

- أهلًا يا دكتور، خير؟ طمني.

- للأسف يا أستاذ حسن، هو فاق من الغيبوبة بس الحالة بتسوء وتعتبر ف اللحظات الأخيرة، تقدر تُدخُلُه وتشوف لو ليه وصية أو أي حاجة.

- تمام يا دكتور.. دخلّني ليه.

ثم قام الطبيب خارجًا من غرفته مُتجهًا لغُرفة المهندس عماد السيوطي ثم تتبعه حسن حتى وصلا للغرفة ونظر الطبيب لحسن قائلًا:

- إتفضل أدخل، هسيبك معاه على انفراد والممرض موجود في خدمتكم جنبكم.

- تمام يا دكتور، كتَّر خيرك.

دخل حسن ناظرًا إلى الجسد الممدد على السرير لا حول له ولا قوة وهو يهذي بكلمات غير مفهومة ثم نظر له حسن قائلًا له:

- يا باشمهندس عماد، قول لا إله الا الله، أو قول أي ذكر خير.

وبعد أن قال هذه الكلمة تغيَّر وجه المهندس عماد ثم قال:

- عندك خصم يومين.

- أنت إيه إللي بتقوله دا؟

فجأة ملامح حسن تغيرت لدهشة وكادت دموعُه تسقط من عينيه قائلًا في نفسه:

- دا وقته الكلام دا تقوله؟ دا أنت هتقابل ربنا.

ثم رفع صوته قائلًا له:

- بالله عليك قول لا إله إلا الله، لأن "مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

ثم جاء الرد:

- إنتوا جايين ليه وعايزين إيه مني؟.. كل شوية تيجوا بالنار إللي معاكوا؟ .. إمشوا أنا محدش يقرب مني.

ثم ازداد ارتجافًا وقال:

- لا لا نار بتحرقني، مش قادر جسمي بيولع.

نظر لُه حسن وهو يبكي على ما يراه وعلى سوء خاتمته قائلًا:

- يا رب رحمتك.. يا رب أسألك حُسن الخاتمة يا رب.

ثم نظر له محاولًا إنقاذ موقفه.. ثم جاءه الرد:

- مش قادر أقول حاجة، مش عارف أنطقها، واقفين ليا محاوطِنّي ومفيش مفر، مفيش مفر.. أنا خلاص تحت إيديهم، وأنت عشان ساكت كده ومش بتعمل حاجة أنا هرفدك مخصوم منك الشهر كلُه.

ثم ارتجف رجفة شديدة ونظر برعب شديد ناظرًا للسماء ثم سكن كل شيء بالجسد.... وتحوَّل الوجه لسواد قاتم.

نظر حسن للموقف ثم ارتجفت أوصاله ولم يعد يحتمل أن يحمل قدميه، ثم قال:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم خرج من الغرفة وعيونُه تذرف دمعًا، ثم أجرى اتصالًا بأخيه الذي رفض مصاحبته وهو مريض ووافق أن يحضر جنازته هو وعدد لا يتعدى أصابع اليد من أفراد عائلته من أجل أن يتأكدوا من موته وأن يتقاسموا التركِة، ثم أجرى إتصالًا بالزملاء بالشركة وأقنعهم أن يحضروا جنازته ويتبعوها من أجل الإنسانية..

ثم جاءتُه اتصالات هاتفه من سامي.. رد عليه قائلًا:

- السلام عليكم..

- وعليكم السلام حسن.. عامل إيه؟!

- الحمدلله على كل حال، وأنت؟!

- الحمدلله، والله كنت عايزك ف حاجة يا حسن ومفيش غيرك.

- خير يا سامي.

- أنا بقالي فترة بشوف سامح ف أحلامي، حتى طنط أُم أميمة ربنا يرحمها شافت رؤية إن سامح بيستغيث بينا وقالتلي روح إفتح قبرُه وشوف، وأنا عارف إنك ما تعرفش قبرُه لأنك ما كنتش معانا، بس عايزك تيجي معايا ونشوف إيه الموضوع.

- والله أنا كمان حاسس إحساس غريب، والله يمكن إللي بتقوله يكون صح.. بس مش معقول المدة دي كلها.

- مفيش حاجة بعيدة على ربنا.. هو النهاردة كدا ٢٣-١-٢٠١٨ شهرين إلا كام يوم.

- طيب يا سامي أنا عندي دفنة هخلصها لأن مدير شركتنا مات النهاردة وبعديها هقابلك ونروح.

- هو مات أخيرًا؟ دا أنا دعيت عليه دُعا.. الحمدلله ربنا استجاب لأنه ظلم سامح وافترى عليه بكلامُه.

- خلاص بقى يا سامي هو مات دلوقتي وربنا يتولاه برحمته.

- طيب يا حسن خلَّص وكلمني ونروح، لإن الراجل دا ما أمشيش ف جنازته ولو إيه حصل.

- ماشي يا سامي.. هخلص وأكلمك.

****

أجرى حسن جميع الإجراءات الخاصة بالمشفى وتم تغسيل المتوفى، وتم وضعُه في النعش وحضر كل مَن في الشركة وأخو المهندس عماد السيوطي وبقيةٍ من أهلِه ثم تقدم مجموعة ليحملوا المهندس عماد السيوطي إلى سيارة الموتى حتى يصلوا عليه ومن ثَم يدفنوه، وعند حَملِهم له لم يقدروا مِن ثقل النعش أو بالأصح من كثرة ذنوبه، جاءت مجموعة أخرى تحمل النعش وحملوه بصعوبة شديدة وهم يرددون "لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون".

ثم دخلوا عليه لصلاة الجنازة وحملوه إلى السيارة مرة أخرى ليذهبوا بِه الى المقابر الخاصة بالشركة.

****

بعد طول عناء وزحام الطريق أكثر من ساعتين من الوصول إلى المقابر، وقفت السيارة عند آخر مكان يسمح لهم بالتجاوز ولا بُد من حمل النعش في وسط الصحراء التي تؤدي إلى المقابر، وبالفعل أخذ حسن مُسرعًا إلى النعش هو وأخو المهندس عماد السيوطي ومجموعه من الزملاء بالعمل وحملوا النعش، وفي أثناء سيرهم جاءت ريح شديدة بتراب لم يقدروا على مقاومتها فسقطوا على الأرض وطار النعش، في وسط رياح وإعصار شديد

أذهلهم جميعًا لا يعلمون كيف حدث وجدوا العُجاب أن النعش تكسَّر أشلاءًا، ووجدوا مديرهم بدون كفن وملقى كما ولدته أُمه ووجدوا الكفن مُمزَّق لخيوط صغيرة.

وقف الكل ينظر بدهشة واستغراب وجميعهم ينظُر للآخر.

تكلم حسن قائلًا:

- "إيه اللي بيحصل دا؟؟ مش معقول..... أول مرة تحصل حاجة زي كدا، لا حول ولا قوة الا بالله..

ردَّد أخوه مُجيبًا:

- من أعمالُه السودا إللي عملها فينا، كان دايمًا يجيب ف سيرة الناس ويفضحهم.. ربنا فضحُه.

ثم خلع مَن كان يرتدي أكثر من شيء وغطُّوا بِه كامل جسدُه وحملوه بدون شيء، وظلوا يسيرون به حتى وصلوا إلى التُربة.

ثم وجد حسن التربي واقفًا وقال له:

- التربة جهزت يا ريس؟

- معلش التربة إللي كنت مجهِّزها جالها واحد على غفلة ودفنتُه... هفتحلكم قبر حالًا ونِكرمه إن شاء الله.

ثم نظر التربي للجثة ليلاحظ أنُه لا يوجد نعش ولا كفن مثل الجميع، ثم تكلم قائلا:

- أُمال هو ليه مش متكفن؟ وفين النعش؟!

- والله جات ريح جامدة والنعش اتكسر والكفن اتقطع كلُّه.

نظر التربي وقد تغيَّر وجهه لعِلمه بهذه الأحداث وأنه من الواضح أن المتوفَّى أعمالُه كانت سيئة، وقال:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

انتهى التربي من تجهيز المقبرة ثم خرج إليهم قائلًا:

- يلا كام واحد يساعد معايا عشان ننزِّل الميِّت للتربة.

سار أخوه ومجموعة أيضًا معه ثم حملوه وعند وقوفهم على القبر وعند أول الدرج نزولًا للقبر نظروا أسفلهم وارتجف أخوه مِمَّا رآه، فنظر التربي ليجد ثعبان أسود كبير الحجم ينتظر بالمقبرة ومُخرجًا لسانُه عدة مرات، وقال التربي:

- إرجعوا بهدوء، عشان في تعبان تحت.

وقفوا جميعًا على حافة القبر ينظرون إلى الثعبان الذي لا يعلمون من أين أتى.. رد الموظفون الذين أتوا ليمشوا في جنازته:

- ده من أعماله السودا.. أديها بتشرَّف أهي.

رد التربي قائلًا:

- طب والحل إيه؟ ما نرميه وخلاص وده عملُه.

رد حسن قائلًا:

- لاء ما ينفعش، معلش يا ريس افتح لينا تُربة تانية.

رد التربي بضجر قائلًا:

- طيب لما نشوف آخرتها إيه؟

وبعد بضع من الوقت تم فتح تُربة أُخرى وجاءوا ليدخلوه التربة وجدوا النار قد اشتعلت بداخل القبر!!

وقف الجميع مذهولًا ومنهم من يدعو له بالرحمة، ومنهم مَن يقول يا رب رحمتك ولطفك بينا، ومنهم من أعلن توبته في الحال.

نظر حسن إلى تامر أخو المهندس قائلًا له:

- أستاذ تامر أنا عايز أعرف إيه السر إللي وصَّل أخوك لكل ده وإن نهايتُه تكون كده؟ ومش عارفين ندفنُه لحد دلوقتي، ده يا رَاجل كان وهو بيحتضر عمَّال يدي في أوامر وخصومات اه هو إللي كان بيعملُه فينا في الشركة كان كتير، وظلم ناس لكن إيه السر إللي خلَّاه وصل ل كده.

نظر له تامر قائلًا:

- السر يا أستاذ حسن من وهو صغير أبونا كان مُضطهده، دايمًا كل تعاملُه معاه أوامر وبس حتى الصلاة ما عرفهوش هو بيصلي ليه؟ هو كان يقول له تعمل إللي أقولك عليه وأنت تقول حاضر وبس، وكانت معاملتُه قاسية.. ضرب كلها على أي حاجة فـ أخويا، كان كاره لأبوه وكِره الدين وكان

بيعمل أعمال مش كويسة من سبّ للدين وإنُه لحد دلوقتي ما اتجوزش لأنه مشيُه مش كويس، وحاجات كتير ربنا يعافينا، وطبعًا ما ركعهاش من زمن، ده غير لما أبونا مات من حقدُه علينا أكل حقنا وبصَّم أبويا وهو ميت في قبرة على تنازل بالورث ليه، عمرك شوفت كده؟ من جمود قلب وكأنُه بقى حجر مش قلب خالص، ده غير إنُه كان سبب في موت أُمِّنا بعد ما عرفت إللي عملُه طبعًا اتخانقت معاه وقالتلُه أنت ميت بالنسبالي، وأنا بندم على اليوم إللى ولدتك فيه، ودعت عليه دعوة عمري ما أنساها، قالتله: روح ربنا يسدّ الأرض كلها في وشك، وكان ردُه عليها جحود وإنه نفسُه إنها تموت وقالها ليها في وشها، وطبعًا محدش فينا بقى قادر عليه لإن زي ما إنت عارف هو جسمُه عامل إزاي.. ربنا عاطيه قوة وجبروت للأسف مستغلها كلها في الشر، ده غير بقى كلامُه عليَّا أنا وزوجتي، وبيتكلم في أعراض الناس ويخرب بيوتها، وحاجات كتير أوي لو قعدت أحكيلك من هنا للصبح مش هتصدق إن ده إنسان، وكلمة إنسان حرام تتقال للي زيُّه وعلى شاكلتُه.

تعجَّب حسن مِمَّا سمعُه ولم يُصدِّق ولكن الشواهد جميعها تقول أن مَن يكون هذا نتيجة آخر لحظات على الدنيا أكيد كان أكثر سوءًا من هذا، ثم نظر إليهم التربي قائلًا وهو ينفض يديه وطارقًا بها:

- بصوا بقى كده أنا مفيش تُربة تاني عندي، وآخر حاجة هعملها هنفتح قبر لسه صاحبه ما بقالوش شهرين فيه.. وده للضرورة أحكام وربنا يسامحنا بقى، أهم حاجة الكل يسِد مناخيرُه لأن الريحة هتكون صعبة أوي، وأنا بقولكم والكلام للجميع مهما يكون هندفِنُه فيها.

نظر حسن للتربي موافقًا وأخو " المهندس عماد السيوطي" أومأ بالقبول وكان هذا هو آخر حلًا،

ثم شرد حسن في كلام التربي قائلًا في نفسُه:

"واحد مدفون ما باقلهوش شهرين؟ معقول يكون القبر إللي هيتفتح دا هو قبر سامح؟؟ هو سامح اتدفن هنا؟؟" أدينا هنشوف، يا رب يكون خير.

ذهب الجميع مِن أمام القبر وهم يحملونه وقد انهارت الأعصاب من هول ما رأوا جميعًا، وسار الجميع ببُطء شديد تكاد أقدامهم لا تتحمل السير أكثر من هذا، ثم اقتربوا إلى المكان الذي به القبر الذي سيقومون بفتحُه، وما أن اقتربوا حتى شعروا بشعور غريب، وشَعر حسن بنبضات قلبُه تتسارع، وكأنَّ شيئًا ما في الانتظار.

****

(٩)

"ما دمت لديك حُسن ظن بالله، فتأكَّد أنُه سيفتح لك أبواب الأمل مهما طال وقت البلاء...

فهل من مُعتبر ليُحاول أن يُصلِح ما تبقَّى؟!

أم لا بُد من إختبار يُدمينا دمًا؟!

في وسط الظلام الدامس..

يرقُد سامح على سلالم المقبرة بعد أن شَعر بتعب من كثرة الصرخات والطرق لعل أحدًا يسمعُه وأحس أنُه بدأ يختنق شيئًا فشيئًا، حتى سمع خطوات تقترب إلى قبرُه، تهلَّل وجهُه بالأمل بعد أن سمع صوت أحدهم يقول:

- هي دي التربة إللي هنفتحها؟

قال في نفسه:

- يا ترى قصدهم إللي أنا فيها ولا واحدة تانية؟ لازم أحاول أعمل أي حاجة عشان يفتحوا ليا، لازم ألفت انتباههم.

أخذ يصرخ قائلًا:

- يا عـــالـــم، حد يفتحلي الباب، يا ناس حد يسمعني.

وأخذ يضرب بكل قوته على الباب حتى سمع التُربي أن هناك صوتًا بالداخل.. ولكن قال في نفسُه:

- دا أكيد تهيؤات.

وأخذ يحاول فتح المقبرة.

بينما أخذ حسن ينظر مترقبًا بينما تتصارع نبضات قلبُه وكأنها تكاد تُخبِرُه

"أنه قد حان الوقت لنهاية قلقك".

دخل حسن إلى مكتب سامح وهو يشرب القهوة الخاصة بِه قائلًا له:

- عايز أفضفض معاك شوية لأني تعبان أووي وحاسس بضيقة كبيرة.

نظر سامح له بتمعُّن قائلًا:

- أنا عارف أنت بتفكر ف إيه وسبب خنقتك.... أكيد بسبب الخلفة.

- دي حقيقة يا سامح .. والله أنا راضي، بس مش عارف ليه الخنقة دي بتجيلي، إحساس صعب أووي.

- عارف يا حسن.. الإختبارات ساعات بتكون صعبة أوي بس تفتكر ليه يا ترى؟

- أكيد عشان تعلّي مكانتنا ف الجنة.

- ولا حتى دي يا حسن.... أصلًا محدش هيدخُل الجنة غير برحمة ربنا لكن المغزى إن ربنا بيختبرنا ساعات عشان بنكون مقصَّرين أووي وبيحب إنُه يسمع صوتنا وإحنا بندعيه وبنلِحّ عليه "يا رب" عشان ببساطة تقرَّب مِنُه ويسمعك ويشوف هو أنت فعلًا بتحبُه ولا أي كلام؟ لأن؛

المواقف هي إللي بتبيِّن كل إنسان على حقيقتُه يا حسن.

- إللي يسمعك يا سامح يحس إنك إيه ملاك وشيخ وما يعرفش إنك ساعة وساعة.

- عارف يا حسن، أنا عارف إن ربنا ف يوم هيصلح حالي وهيرحمني وهيديني فرصة عشان أثبت على طريقه، وأنا واحد طمعان في رحمتُه.

- ربنا يصلح حالك يا سامح.... بس إنت تفتكر إن في أمل إني ف يوم يكون عندي ابن؟

- أنت بتتنفس ولا لأ يا حسن؟!

- أُمال واقف قدامك إزاي يعني!!

- خلاص ما دام فيك الروح يبقى في أمل يا حسن... والله لو ربنا أراد شيئًا بيقولُه "كُن فيكون" أصحاب الكهف ربنا خلاهم يناموا ٣٠٠ سنه وخلّاهم بعدها يصحوا ويرجعوا للحياة عشان بس يعلمهم آية واحدة من آياتُه.

تفتكر مش قادر يجعل لك ذرية؟ بس كل وقت زي مابيقولوا "ليه آذان"

إطمن وإعرف إن ربنا مُمكن يغيَّر قوانين الكون دا كلُه عشانك أنت يا حسن أو أي واحد.. بس يكون صادق النية من جواه، والله والله ممكن يموِّت ناس، ويحيي ناس عشان بس يحققلك حاجة بسيطة ليك، إوعى تقول مستحيل في يوم، إوعى تقول مستحيل في يوم.

عاد حسن من ذكرياتُه وهو يشاهد التُربي وقد حان وقت فتح القبر، وأخذ يُدخِل المفتاح داخل القبر، وفجأة سمع الجميع صوت من داخل القبر وارتجفوا جميعًا رجفة واحدة وتظاهر كل مِنهُم بالتماسك... ما عدا حسن كان يبتسم.

****

بينما كانت إيمان تقف بالمطبخ حتى شَعرت بدوار شديد، لم تتمالك نفسها، ثم أمسكت بالهاتف وأخذت تتصل بحسن ولكن لم تَجِد إجابة، ثم دخلت إلى المرحاض وأخذت تتقيَّأ كل ما في معدتها، وانتابها الشك قائلة في نفسها:

- يا رب إيه دا؟؟ مستحيل يكون الدكتور ضحك علينا، دا قال إني خفيت من تعبي.

وأخذ الدوار ينتابها بشدة كلما وقفت وأخذت القرار للنزول إلى الطبيب لتتأكد بنفسها من الأمر، حتى وإن كان المرض ما زال بها فهي عزمت أنها لن تُخبر حسن، ثم جهَّزت نفسها وأخذت حقيبة يدها ونزلت مُسرعة إلى الطبيب الذي تقطن عيادتُه بجانب شارعهم، وما أن وصلت للطبيب وشرحت له كل شيء عن مرضها وما شَعرت به، فكان رده عليها قائلًا بعد أن كتب في ورقة شيئًا ما:

- أُدخلي غرفة التحاليل وإعملي التحليل دا

دخلت مسرعة وأخذت المُمرضة جرعة دم من يدها، وما أن انتهت جلست تنتظر نتيجة التحليل..

عادت المُمرضة وطلبت من إيمان أن تعود للطبيب مرة أخرى، وبعد أن تفحص الدكتور التحاليل ورأى النتيجة أصابتُه الدهشة، ثم نظر إليها.. بينما كانت إيمان تنظُر إليه نظرة خوف وقلق.

****

أخذ الجميع يقف بقلق واضح وكل منهم يقول:

- فتحنا قبر كان فيه تعبان، وقبر تاني كان فيه نار مولَّعة، يا ترى هيحصل إيه تاني في القبر دا؟

وما أن فتح التُربي باب القبر حتى شَعر سامح بضوء أعماه مؤقتًا لأنُه ظلَّ فترة بالظلام ثم شَعر بهواء بعد أن كاد يختنق ويموت من قلة الأكسجين أخذ يزحف على السلم، بينما نظر التربي فوجد شيئًا يتحرك وهو لا يرى في الظلام، ما هذا الشيء؟ وما أن ظهر على عتبات السلم للنور حتى شهق التُربي من الرعب، وسقط من هول صدمتُه صامتًا في الحال، ونظر الجميع متعجبًا مِما حدث للتُربي حتى يسقط لا يعلموا إن كان قد أغشى عليه أم مات أم حدث له دوار؟

حتى على حين غُرَّة وجدوا من يَخرُج لهم من القبر زاحفًا مُكفَّن الجزء السفلي من جسده بينما الجزء العلوي عاريًا، وشعرُه يقف منتصبًا باللون الأبيض، ففزع الجميع وهرولوا بالهروب وألقوا بالجثة على الأرض وهم يقولون:

- الله يجحمك مطرح ما روحت، الله يخربيت معرفتك على اليوم إللي اشتغلنا فيه في شركة إنت فيها، بقى يطلع لِنا ميت؟

وأخذ أخوه يركض بعيدًا وهو يقول:

- دي كانت إخوة هباب على دا يوم كنت فيه من أهلنا.

هرب الجميع يفلت بروحُه بعد أن شاهدوا ميتًا يخرج زاحفًا من القبر، بينما وقف حسن ثابتًا لا يعرف هل يخاف ويرتعب من منظر سامح بعد خروجه من القبر؛

أم يتقبل ما شاهدُه من أهوال وصلت به الحال إلى أن يكون بهذا المنظر.

أخذ حسن يُسرع إلى سامح بعدما نظر كل واحد منهما للآخر وابتسم حسن، بينما أخذ سامح يبكي وأخذ يحاول أن يجعل سامح يقف ولكن قدماه لا تستطيعان الوقوف، وظل يُكلم سامح قائلًا:

- ما تخافش يا سامح هتقوم وهترجع زي الفل وأحسن بكتير، وحشتني أوي يا صديقي الغالي.. كده كل ده يحصل وأنا معرفش؟ عارف إنت كمان لما تعرف إللي حصل لي من صدمات هتعرف إنك مش لواحدك وأديني قمت أهو وإنت كمان هتقوم، عايزك تتمالك نفسك أرجوك، أرجوك اقوى على نفسك شوية.. إنت عدِّيت بالأكتر من كده ما تجيش عند آخر مرحلة وتسمح لنفسك بالهزيمة، إياك يا سامح أرجوك.

وأخذ حسن جثة " المهندس عماد السيوطي" وألقى بها في القبر بدون أي مقدمات وأغلق عليه،

أمسك حسن بالهاتف غير عابئ بشيء واتصل بالإسعاف موضِّحًا لهم مكانُه بالتحديد، وبالشرطة حتى يوثّق الأمر، ويصبح الأمر معلنًا للجميع، وإذ به وهو يقف بجانب صديقه سامح الذي يقف محاولًا الصمود على رُكبتيه وفجأة قطع سامح حبل الأمل وسقط بدون مقدمات مُعلنًا دخوله لمرحلة أخرى الله وحده الذي يعلم بها.

****

ذهب حسن مع سيارة الإسعاف بعدما جاءت الشرطة وسجَّلت محضرًا بِما حدث كلُه، وتم إستدعاء شقيق المجني عليه لاستجوابه كيف دُفن وهو حي؟ بينما وقف حسن بالمشفى يترقَّب حالة صديقُه سامح مع الطبيب، حيث أن قِلَّة مَن وافقوا على مُعالجة حالة سامح بينما الآخرون انتابهم الخوف والذُعر، وبعدما علقوا المحاليل لسامح وتم نقل الدم له وهو لا يزال فاقد للوعي في غيبوبة تامة.

ثم خرج الطبيب شارِحًا لحسن وضعُه قائلًا:

- حالة صاحبك سيئة جدًا، عايز أقولك إنُه يمكن أنقذناه على آخر نفس ليه، المدة إللي قعدها في القبر دي كانت كفيلة إنها تكون موّتتُه، ويكون اتحلِّل كمان، إللي حصل له دا مُعجزة أو حاجة إلهية تدخَّلت عشان يكون لسه حي لحد دلوقتِي.

- الحمدلله إنُه حي .. الحمدلله.

ثم نظر حسن للطبيب قائلًا:

- يعني ممكن يستعيد حالتُه تاني في حوالي قد إيه يا دكتور؟

- دي ربنا إللي يعلم بيها، هو في غيبوبة تامة، ودلوقتي إحنا بنغذِّي الجسم الوقت إللي قعدُه دا كلُه وبنحاول نستعيد نشاطُه تاني وده مش سهل، والتغيُّرات إللي حصلتلُه دي هتفضل كده مش هنقدر نرجعُه زي الأول لإن الأهوال إللي شافها دي كانت لوحدها كفيلة تقضي عليه تمامًا، ده الواحد مِننا لما بيقطع النور ويتخيل حاجة يبقى كإن قلبه هيُقف.. ما بالك بيه؟!

- يا دكتور ده هو عمرة ٣٧ سنة هيكملهم بعد ٣ شهور،، وشكله يديه فوق ال ٦٠ سنة!

- كل حاجة و ليها ضريبة يا أستاذ حسن .. بس هو يفوق من الغيبوبة الأول.

- خير إن شاء الله.

أخذ حسن هاتفه و اتصل بسامي أخيه بينما كانت تجلس بجانبُه نوال زوجته وأخبره بما حدث وأن أخوه ما زال حيًا وفي المشفى الآن، وما أن سمع سامي الخبر ابتسم وتهلَّل وشكر الله عز وجل بينما زوجته انتابها القلق.

ثم قال له أنُه لا بد أن يذهب لقسم الشرطة لأخذ أقواله ليحققوا في الأمر كيف دُفن حيًا؟

بينما أغلق سامي المكالمة وأبلغ نوال زوجته بالتطورات وردَّت عليه بدون فرحة على وجهها قائلة:

- ألف مبروك الحمد لله إنه طلع عايش، ده بسبع أرواح.. مش معقول!

نظر لها سامي قائلًا:

- أنا هنزل علشان أشوفُه وأروح القسم علشان محتاجِني في التحقيق إنُه إزاي إتدفن حي.

وما أن سمعت نوال هذا الخبر حتى تحوَّل وجهها لجميع الألوان والقلق ظهر عليها ثم قالت:

- قسم إيه إللي تروحُه؟ لَاحسنّ يلفَّقولك تُهمة، سيبك منهم دول ما بيصدقوا.

- تهمة إيه بس؟ بطلي كلام هبل، إنتي دماغك باظت من الأفلام إللي بتشوفيها.

ثم أخذ يُجهِّز ملابسُه بينما أخذت نوال تفكر.

****

دخلت إيمان بيتها بعدما عادت من عند الدكتور وهي لا تعرف هل تفرح أم هل تبكي أم ماذا!!!

ثم جلست على كنبة الأنتريه المواجهة لباب شقتها تستعيد ما قالة الدكتور لها:

- مش عارف أقولك مبروك وأفرَّحك و لا أقولك مبروك وأحزِّنك!

- خير يا دكتور ؟ملامحك مش مطمناني.. قول السرطان رجع ليا تاني؟

- لا لا الحمد لله مفيش الكلام ده، إللي عايز أقولُه ليكي مبروك إنتي حامل.

نظرت له وهي مُحدقة لا تعي ما يحدث، ثم قالت:

- أنت بتقول إيه يا دكتور؟ إزاي؟؟

- إنتي حامل ودي إرادة ربنا

ابتسمت إيمان ووقفت بفرح وسعادة وكأن الدنيا كلها تضحك لها ونزلت من عيونها دموع فرحة.

ثم نظر لها الدكتور نظرة أُخرى مريبة قائلًا:

- بس ده خطر عليكي يا أستاذة إيمان، إنتي لسه خارجة من مرض ومناعتك ضعيفة، يا تنزّلي الحمل ده علشان إنتي تعيشي يا إما تكملي الحمل ده.. بس إنتي إللي هتموتي! وآسف على المصارحة الشديدة بس لازم أكون صريح معاكي.

عادت من فرحتها وهي تبكي بشدة قائلة:

- يا رب أي إختبار ده؟

ما أصعب أن تكون في إختيار بين روح تعيش بِها وروح تحيا بِها

الإختبار صعب أووي يا رب.

وبينما هي على هذه الحالة وجدت باب الشقة يُفتَح و دخل عليها (حسن) ووجدها بملابس الخروج تجلس وتبكي، ف اقترب منها ماسحًا دموعها قائلًا:

- مالك في إيه يا حبيبتي؟ بتعيطي ليه؟ والله أنا اتأخرت وما رديتش عليكي علشان كنت حاجة عُمرها ما حصلت وكأنها معجزة .

نظر لها وهو يبتسم ثم أردف قائلًا:

- صاحبي عايش يا إيمان، سامح عايش، و إحنا بندفن الرَجل التاني لقيتُه طالع من القبر ووديته المستشفى، وهو في غيبوبة دلوقتي ولكن إن شاء الله هيتحسن.

نظرت له إيمان وابتسمت فرحًا له لأنه وجد صديقه ثم ظلت صامتة، ثم سألها:

- شايفك بلبس الخروج.. إيه خرجتي روحتي فين ومالك في إيه؟

نظرت له إيمان وبدأت الدموع تعاود من جديد، وفجأة أجهشت بالبكاء وارتمت بحضنُه قائلة:

- الإختبار صعب أوي أوي يا حسن.

نظر لها حسن باستعجاب قائلًا:

- في إيه يا إيمان؟ قوليلي.
- وأنا قاعدة في البيت حسِّيت بتعب ودوخة وقيء لبست ونزلت روحت للدكتور عمل ليا تحاليل وبعديها...

نظر لها حسن بعد أن صمتت قائلًا:

- بعديها إيه إيه يا إيمان السرطان رجع تاني؟؟
- يا ريتُه، كان رجع أرحم من إللي أنا فيه دلوقتي.

نظر لها حسن متعجبًا أكثر قائلًا:

- أُمال إيه بس؟ نشِّفتي دمي ما تنطقي.
- أنا حامل يا حسن وما تسألش إزاي، إرادة ربنا.

ابتسم حسن قائلًا:

- وبتقوليها عادي كده وعمالة تعيطي، وقالبة الدنيا وكإننا متجوزين في السر؟! ده أجمل خبر سمعتُه في حياتي، أنا مش عارف أقول إيه بجد يا إيمان.

- للاسف يا حسن إللي ما تعرفهوش إن الحمل ده خطر عليا، والدكتور قاللي يا إمّا أنزل الحمل وأعيش يا إمّا الحمل يكمل وأموت، وأنا مش خايفة من الموت.. أنا كل زعلي إني أموت وما أشوفش بنتي ولو لحظة واحدة قبل ما أمشي.

وما أن سمع حسن هذه الكلمات نزل على الأرض بركبتيه ودموعة سبقتُه وردَّد قائلًا:

- يا رب.. يا رب إيه الإختبار ده؟

****

خرج سامي مسرعًا من منزلُه ليُلقي نظرة على أخيه وهو بالطريق، وأخرج هاتفه واتصل على أُم أميمة قائلًا:

- إزيك يا أُمي.. عاملة إيه؟

- الحمد لله يابني ماشي الحال

- أنا بتصل علشان أقولك خبر مفاجأة.. رؤيتك اتحققت يا أُمي، سامح عايش بأُعجوبة وهو في المستشفى ورايح أشوفُه بيقولوا في غيبوبة.

تغيَّر صوتها وظهر على نبراتها الفرح قائلة:

- بجد يا سامي؟ سامح عايش؟

- اه يا أُمي لسه صاحبُه حسن مكلمني وهو إللي راح وأنقذُه، أنا طبعًا معرفش لسه التفاصيل بس هعرف كل حاجة.

- ألف حمد وشكر ليك يا رب على إنُه عايش، دي أميمة وصِّتني عليه أوي في الرؤية، ولازم أنفِّذ وصيتها لازم آجي وأشوفُه.

- تعالي بس من غير الأولاد وما تجيبيش سيرة بحاجة ليهم، خليهم فاكرينُه إنُه مسافر، ولما يفوق من الغيبوبة يرجع ليهم زي ما كانوا شايفينه آخر مرة .

ثم أغلق المكالمة، وبعد دقائق وصل المشفى وسأل في الإستقبال ووجَّهوه على غرفة ٣٠١ بالعناية المركزة، ذهب مسرعًا وما أن وصل ووقف أمام باب الغُرفة وجد أمين شرطة يقف حارسًا لها فقال له:

- أنا عايز أدخل أشوف أخويا سامح، أنا سامي أخوه.
- أنت أخوه؟
- اه أنا.
- طيب هدخَّلك تشوفُه ونرجع للظابط علشان عايزك .

ثم دخلا سويًا وما أن دخل و ألقى نظرة على سامح، أُغشيَ عليه، وأمسك بِه الأمين وقال بعلو الصوت:

- يا دكتور إلحقني .

جاء الدكتور مسرعًا مع الممرضات وأخذوا سامي لغُرفة أخرى وقاموا بالإفاقة، وبعدها بلحظات فاق من الإغشاء قائلًا:

- ده مين يا دكتور؟
- دا أخوك.. بس إللي شافُه مكنش سهل، كان لازم ملامحُه كلها تتغير، إحمد ربنا إنُه لسه بيتنفس.. دي معجزة .

ثم أخذ يبكي على ما وصل له أخوه سامح وقال في نفسه:

- يا ريتك مُتّ أحسن ما تشوف نفسك بالحالة دي.. ربنا يهوِّنها عليك.

نظر له أمين الشرطة قائلًا:

- اتفضل معايا يا حضرة علشان الضابط عايز يحقق معاك.

****

دخل سامي إلى قسم الشرطة ثم أخذُه الأمين إلى الضابط أُسامة الحايس، ثم جلس أمامه وتم فتح التحقيق، نظر له الضابط نظرات شك سائلًا إياه:

- اسمك بالكامل وسنك ومهنتك
- سامي محمد أحمد فؤاد الحسيني ، سني ٤٥ سنة، بشتغل تاجر ملابس.
- إحكيلي عن اليوم إللي حصلت فيه حادثة أخوك سامح بالتفصيل لأنك متهم أول قُدامنا ب إنك قُمت بدفنُه وهو لسه حي.

نظر سامي متعجبًا وقائلًا:

- متهم؟ وبالقتل!! أنا أقتل أخويا وهو حي؟ إزاي!!

إللي حصل إني جالي مكالمة من بواب العمارة قاللي تعالى بسرعة علشان سمعنا صرخة من بيت أخوك، وبنخبط الباب محدش بيفتح لينا، جريت بسرعة وسبت كل حاجة وفضلنا نخبط محدش فتح كسرنا الباب، ودخلت جوه لقيت مرات أخويا على الأرض وأخويا واقع عليها وكان في جميهم ورقة مكتوب فيها رسالة من أميمة كاتبة فيها إنها ماتت بسبب إهمالُه ليها وإنُه كان يوم ميلادها، وواضح إنُه نسي وبعد ما افتكر راح على البيت بس راح متأخر، وقرأ الورقة ووقع من الصدمة قولنا مات، وساعتها اتصلت بنوال زوجتي قولت ليها الوضع وإنها تيجي وتجيب دكتور معاها وجات، والدكتور كشف وهو إللي قال إنُه مات وخلّص لينا الإجراءات وأهو ..ثواني أطلعلك تقرير الدكتور من محفظتي ولأني لسه محتفظ بيه.

- أنت بتقول إن زوجتك هي إللي جابت الدكتور وهو إللي شخَّص وخلّص الإجراءات صح؟

- اه ده إللي حصل، وآدي التقرير.

أخذ الضابط التقرير واطّلع عليه ووجد التقرير باسم الدكتور مصطفي الحناوي، ثم نظر لسامي قائلًا:

- اسم زوجتك إيه بالكامل؟

- نوال أشرف هلال السعدني

ثم قال الضابط:

- نأمر نحن رئيس المباحث/ أسامة الحايس بإحضار الدكتور مصطفي الحناوي و نوال السعدني للتحقيق معهم، ويُخلى سبيل سامي محمد أحمد فؤاد الحسيني بضمان محل إقامته.

جلس حسن بجوار إيمان بعد أن هدأ و ظل يُطبطب عليها ثم قال لها:

- إنتي عندي أهم من مليون طفل يا إيمان، إنتي هتنزلي إللي في بطنك لأن حياتك عندي أهم.

نظرت له إيمان بعد أن استجمعت نفسها قائلة:

- لاء يا حسن المرة دي لأء أنا إللي لازم أموت وابني يعيش.. أنا كدا كدا ميتة وكلنا هنموت، يبقى أموت وأنا سايبة ليا روح ورصيد ليا ممكن يكون سبب في دخولي الجنة، أنا وإنت دلوقتى يعتبر أصفار لكن لما يكون لينا حاجة من دمِّنا دي حياة تانية، اه هنموت جسديًا بس هنفضل عايشين بروح ابننا يا حسن وإمتداد ذريتنا، وفي الأول وفي الآخر كل شيء بميعاد وأجل مكتوب لكل إنسان.. يعني مش ده إللي هيقدِّم ولا هيأخر.

نظر لها حسن و هو لا يعرف ماذا يقول متأملًا ما قالته، ثم قال:

- أكيد ربنا ليه حكمة في كده، وما دام هو إللي وجد الحمل يبقى لازم نرضى، وإللي كاتبُه ربنا هيكون.. وإنتي كلامك صح، والأيام إللي جاية لازم تكون أسعد أيام هتعيشيها، وإكتبي كل يوم في مذكرة كل رسائلك لابنك، علشان لما يقرأها يعرف قد إيه أمُه عظيمة، ويحس بيكي كإنك معاه.

****

جلس الدكتور مصطفي الحناوي أمام الضابط وهو لا يعرف سبب استدعائه ثم سأل الضابط قائلًا:

- هو حضرتك إيه الموضوع؟ وأنا هنا ليه؟

رد عليه الضابط وهو واقفًا ويحوم حولُه وربَّت على كتفه هامسًا في أذنه قائلًا:

- لأنك مسئول عن قتل سامح الحسيني وهو حي، وتقرير الوفاة طالع بإيدك أنت إنُه مات نتيجة سكتة قلبية .

فجأة تحوَّل وجه الدكتور الأبيض إلى إحمرار وارتعشت يداه قائلًا:

- أنا أكيد غلطت وساعات سكتة القلب بتبيِّن إن الشخص مات فعلًا لأنه ما بيبقاش فيه نبض .

نظر له الضابط قائلًا:

- مش عيب على دكتور شاطر زيك يقول كده؟ ولا أنت ما درستش إن في سكتة قلبية مؤقتة؟ وقبل ما تُحكم على حد إنه مات في جلسات كهربة لازم تحصل لإنعاش القلب، وبعديها بس تقول إنه حيّ و لا مات، بس ما تقلقش إحنا بقى هنعلمك هنا عندنا إللي ما اتعلمتهوش في كُليتك .

ظل ينظر الدكتور إلى الأرض وهو يرتجف قائلًا:

- ماليش ذنب.. هي إللي قالت ليا إنك لازم تطلع تقرير بالوفاة لشخص ظالم زي ده وإني كده بعمل خير.

أخذ الضابط متقدمًا خطوات نحو الدكتور واضعًا يده على كتفه واليد الأخرى تشير له متسائلًا:

- أيوة بقى هي مين؟ قول

رفع الدكتور رأسه ببطء ناظرًا للضابط قائلًا:

- مرات أخوه اسمها على ما أعتقد نوال.

جلس الضابط على كُرسيه قائلًا:

- يا عسكري

ثم دخل إليه العسكري ووقف انتباه للضابط قائلًا:

- تحت أمرك يا فندم.

- خد المتهم على غرفة الحجز، ويتم حجزه لحين العرض على النيابة.

أخذُه العسكري، وظل الدكتور يردد:

- أنا برئ.. أنا كنت بعمل عمل خير.. أنا برئ، الله يخربيت إللي يسمع كلام الستات.

ثم بعدها بدقائق دخل سامي ومعه زوجته نوال، ثم أمر الضابط بإخراج سامي للتحقيق معها، ثم خرج سامي منتظرًا بالخارج، ثم جلس الضابط وجلست نوال وهي مرتجفة والقلق واضح عليها، ثم نظر لها الضابط نظرة تبريق وغيظ سائلًا إياها:

- ليه تكوني سبب شروع في قتل أخو زوجك؟

نظرت له نوال محاولة الكذب قائلة:

- قتل إيه يا حضرة الضابط؟ إيه إللي بتقوله ده؟ وأنا مالي أنا.. وأكون سبب في قتلُه ليه؟

- لما تقولي للدكتور لازم نخلص الإجراءات وتقول إنُه مات، ومع إنه كان ممكن يعمل ليه جلسات كهربة، ويقوم بإنعاشُه تاني وإن السكتة

القلبية المؤقتة معروفة إن الشخص لسه عايش يبقى إنتي متهمة بالقتل، والسؤال ليه كُنتي السبب في كده؟

- أنا ما قولتش حاجة ولا ليا دخل بالموضوع.

- ما تنكريش.. لأن الدكتور اعترف بكل حاجة وزوجك قال إنك إنتي إللي جبتي الدكتور.

تغيَّر وجه نوال للخوف والزعر قائلة:

- أنا كنت برحمُه من إنه يعيش بدون مراتُه وإنُه يموت معاها، ده رحمة ولأنه كان مُهملها وكان هيعيش بالذنب إنه سبب موتها.

نظر الضابط قائلًا بغيظ لها:

- ليه هو ربنا عيِّنك بدل عزرائيل؟ إنتي إللي تُحكمي مين يعيش ومين يموت؟ بلاش دور ملاك الرحمة وقولي علشان زوجك سامي يورث، وإنتي طبعًا زوجتُه وإللي هيكون ليه كأنه ليكي.

ثم نظر الضابط في أسف قائلًا:

- عجيبة أحوالكم تحكمون بما لا تعلمون وكأنكم عالمون وكأنكم ملائكة والحقيقة إنكم شياطين في هيئة بشر.

ثم رفع الضابط صوتُه قائلًا:

- خُدها يا عسكري على غرفة الحجز لحين عرض المتهمة على النيابة .

وما أن خرجت مع العسكري أوقف سامي العسكري و قال له:

- واخدها على فين؟

- دي متهمة ورايحة للحجز أدخل للضابط وأنت تعرف.

ثم قالت نوال لسامي:

- أنا مظلومة ما تصدقهمش.

دخل سامي مسرعًا للضابط منفعلًا قائلًا:

- يعني إيه زوجتي تتاخد متهمة و ....

ثم قاطعه الضابط قائلًا:

- قبل ما تتكلم كتير أقعد وهفهمك كل حاجة بالدليل والإعترافات.

****

ظل حسن واقفًا بصمت أمام سامح الذي يجلس على سريرُه غائب عن الوعي لكل شيء حوله، وهو يتفقد كل ملامحه التي تغيرت وينظر إليه بأسى ومتعجبًا مما يسمعه من سامي و هو يقول:

- مش مصدق نفسي يا حسن.. أنا حاسس إني في كابوس، صدمة موت سامح كانت أهون بكتير من إني أعرف إن إللي عشت معاها نُص عمري وإللي كنا على سرير واحد مع بعض أنخدع فيها، وإنها تكون هي سبب دفن أخويا وهو حي، أنا لغاية دلوقتي مش مصدق إزاي كانت بتتعامل عادي! إزاي كان بيجيلها نوم، وهي حكمت على إنسان بالموت وهو حي علشان إيه؟ علشان ورث! وإنها ينولها جانب؛

ملعون أبو الفلوس إللي تعمي البشر، وتخلّيهم بقلوب ميتة، كان نفسي إنها تكون بره السجن علشان أعرف آخد حقي وأدفنها حية زي ما دفنت أخويا، مع إني طلقتها بس حاسس بوجع كبير، مش عارف لما أخويا هيفوق

من الغيبوبة،هقول له إيه، يا ربتني أموت قبل ما أشوفُه وهو بيفوق ويتصدم صدمة تانية إني أنا كنت سبب دفنُه حي بسبب واحدة أقول عليها إيه غير شيطانة.. وقليل برضو عليها شيطانة لأنها عدت المرحلة دي.

خرج حسن من صمته قائلًا:

- عجيبة الدنيا دي في كل أوضاعها! الواحد عايش يشوف العجب، ومحدش عارف هترسى على إيه و ليه كل إللي بيحصل لينا ده؟ بس هي أكيد حكمة ربنا ورسايل وإختبارات، بس الأهم ننجح وما نتحولش زيهم، ونفضل ثابتين على مبادئنا.....

ثم أردف وهو ينظر لسامي قائلًا:

- إياك يا سامي تقول لسامح حاجة، كفاية عليه الصدمات إللي عاشها؛ موت أميمة وموتُه وهو حيّ، والله أعلم باللي شافُه.. دي كانت رحلة مش سهلة، أنت تقولُّه إنها ماتت وانتهى الأمر.

- بس هو يفوق بس من إللي هو فيه؟

- إن شاء الله هيفوق يا حسن.. إللي يعدّي بكل ده يبقى عنده قلب قوي جدًا، وحب شديد لبقاءُه على الحياة، أكيد في دافع خلاه يقاوم، وما يستسلمش علشان يعيش.

نظر حسن من نافذة الغرفة بالمشفى، ثم قال ناظرًا لسامي:

- اقفل على الموضوع علشان أُم أميمة جاية برة أهي وهتدخُل علينا ويا ريت ما تعرفش حاجة .

- تمام، تمام .

دخلت عليهم أُم أميمة قائلة وهي متلهفة:

- السلام عليكم.. عاملين إيه يا ولاد؟ وأخبار سامح إيه؟ عايزة أشوفُه.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. أهو يا ماما أُدامك أهو، هو ده سامح إللي على السرير ده.

ثم أشار سامي لأم أميمة على سرير سامح، وما أن رأتُه وقفت مصدومة لا تُحرِّك ساكنًا، ولا تصدق عينيها مما تراه أمامها.

****

بعد مرور شهرين

طلَّق سامى زوجته نوال، وارتاحت نفسُه بعد أن تم الحكم عليها ب ١٠ سنين مع الشغل والنفاذ.

وتم الحُكم على الدكتور أيضًا، الذي أصدر تقرير خاطئ وهذا ما تلاعب بِه المحامي الخاص بِه، وحوَّلها شروع في قتل إنسان بالخطأ أخذ بها ١٥ سنة مع فصلُه من العمل، وعدم مزاولة مهنة الطب مرة أخرى.

وما زال سامح في المشفى يتلقى العلاج والعناية اللازمة، وهو ما زال فاقد للوعي، والجميع يدعون له أن يتعافى ويعود لِما كان عليه في السابق.

****

(١٢)

ما أصعب الفقدان! وقتها فقط تشعُروكأن الحياة انتهت بالكامل...!
وقتها فقط، لا تَهاب الموت، بل تُقدِم عليه بكل شجاعة وإقدام،

فما معنى الحياة بدون مَن نشعُر بها معهم!

وما معنى الحب بدون نظرات الحبيب!

وما معنى الأنفاس بدون مَن كانوا لنا الحياة!

بعد مرور ٦ شهور

٢٠١٨/٩

سمع حسن صراخ فجأة بصوت عالٍ قائلًا:

- اه مش قادرة، حسن إلحقني بسرعة أنا واضح إني هولد.

- إيمان إجمدي أرجوكي، عايزك تكوني قوية، إوعي تسيبيني يا إيمان.

- إللي عايزه ربنا هيكون يا حسن، وبعدين أنا مش سايباك.. أنا سايبة ليك أمانة لازم تحافظ عليها، وهي دي إللي بيها هكون معاك دايمًا في كل وقت، بس يلّا إلحقني وديني المستشفى بسرعة مش قادرة.

أمسك حسن بإيمان ثم حملها على يديه الإثنين وهبط بها مسرعًا إلى سيارتُه

وقاد بكل سرعتُه حتى وصل إلى المشفى وأدخلها الطوارئ، وما أن رآها الدكتور، وبعد أجرى لها السونار قال:

- تُدخل على العمليات حالًا، لازم تولد يا إما الجنين والأم هتموتوا.

شاهد حسن الممرضات وهن يأخذن حبيبته مِن بين يديه إلى غرفة العمليات فذهب خلفهن، وعند دخول الغرفة قالت لهم:

- إستنوا ثواني محتاجة أقول حاجة لزوجي

نظر لها حسن، وهو يبكي لأنه يعلم مدى خطورة العملية، قائلًا لها:

- مش كنتي سمعتي الكلام ونزِّلنا الجنين، أعمل إيه لو حصل لك حاجة؟ أنا مش هسامح نفسي.

نظرت له إيمان، وهي عيناها تملأها الدموع وتحاول أن تتماسك قائلة:

- إوعى تقول كده تاني يا حسن.. أنا قولت ليك قبل كده وجهة نظري، وإن ما اتكتبش لينا نتقابل تاني هنتقابل في الجنة...

بس أنت أهم حاجة تخلّي بالك من بنتنا.. حطّها في عنيك يا حسن وهتشوفني دايمًا فيها، وإعرف إن الأقدار ما بتتغيرش مهما كان، وإللي ربنا كاتبُه بيكون حتى لو إختلفت كل الظروف.

- أنا عايز أقولك إني بحبك أوي يا إيمان.. إوعي تضعفي، إقوي عشاني أنا وبنتك، وربنا قادر على كل شيء.

نظرت له إيمان وهي تدمع عينها قائلة:

- و أنا كمان يعلم ربنا مفيش سجدة سجدتها إلا لما دعيت ليك، وده الحب إللي بجد، إوعى يوم تنساني يا حسن.. إدعيلي دايمًا، أنا مكنش ليا حد في الدنيا غيرك ودلوقتي ماليش حد يدعيلي في مصيري المجهول غيرك، لا إله إلا الله يا حسن.

أخذ يبكي لكلامها له وقال مودعًا إياها لغرفة العمليات :

- محمد رسول الله يا حبيبة قلبي وعشق حياتي كله.

ثم أخذتها الممرضات على النقالة لداخل غرفة العمليات.

و بعدها بساعتين، جاء الدكتور ووجهه به شيء مريب قائلًا:

- مبروك يا حسن ربنا رزقك ببنت زي القمر شبه أُمها بالظبط، بس للأسف البقاء لله ما عرفناش نلحق الأم، وأنت كنت عارف حالتها ما تستحملش، ربنا يعوضك في بنتك.

نظر حسن في ذهول للدكتور، وهو لم يصدق ما سمعُه بأُذنيه، وشَعر أن الدنيا تدور به وارتمي بجسده على الحائط قائلًا:

- إنا لله و إنا إليه راجعون.. ليه كده يا إيمان؟ مش قولت ليكي تكوني قوية،

ليه ضعفتِي؟ ليه سبتيني وحيد أقاسى في دي حياة؟ وإزاي أصلًا يكون بعدك حياة، وإنتي كنتي كل حياتي وأنفاسي، ده أنا ما كنتش بضحك إلا بيكي ولا كنت بستحمل أي حاجة غير عشانك،

اه يا رب اه، أُقف معايا يا رب وهوِّنها عليّا أنت القادر على كل شيء والحمدلله على كل إللي تجيبُه لا إعتراض على قضائك يا رب، بس أنا إنسان غصب عني مش قادر استحمل الصدمة، صعبة عليّا،

هو ليه إتكتب علينا الفراق؟ ليه إحساس الفراق صعب كده، وأصعب من الموت ذات نفسُه!!!

****

بعـد ثلاثة أشهر
٢٠١٨\١٢

جلس كل من سامي وحسن على المقاعد المجاورة لسرير سامح ينظران إليه لعله يفيق من الغيبوبة التي ما زال بِها، فلقد قال الأطباء عن حالة سامح أن:

- حالتُه البدنية استعادت صحتها من جديد وكل شيء على ما يرام ما عدا أن عقله رافض أن يفيق مِما هو به فالحالة النفسية لديه في سوء مِما رآه، فعقله اللاواعي هو الذي يعمل فقط وعقله الواعي رافض أن يستجيب ولكن من الممكن أن تحاولوا بجلوسكم معه، وأن تتكلموا معه وهو على هذه الحالة فهو يسمع كل ما يدور حوله جيدّا ولكن لا يستجيب لأنه يهرب من الواقع، لأن ما رآه جعله رافض للواقع الذي مرّ به، وبناءًا على هذا ممكن أن تروا إنفعالات أو تحريك للجسد وهو في هذه الغيبوبة لأن عقلُه يمرر كل الذكريات أمام عينيه مرة أخرى من البداية للنهاية، ممكن أن تجدوه لحظة يبتسم، ولحظة يعبس كل هذا أمر طبيعي، ولكن كونوا حذرين لأن من الممكن أن تقابلُه ذِكرى سيئة تجعلُه ينفعل فيؤذي نفسه وهو لا يدري، وعندما تجدوا هذا لا بُد مِن أحد ليطبطب عليه، وأن يُطمئنه، وأن يكلمُه بهدوء، وأن يطلب مِنه أن يعود وأن يتقبَّل الواقع، وحذاري من أن تقولوا شيئًا يسبب مضاعفات أكثر فهو منتبه جيدًا لكل شيء حوله.. تذكروا هذا جيدًا.

****

وقف سامح حائرًا يلتفت حوله لعلُه يجد الصوت الذي يتكلم معه الذي يقول له:

- إيه يا سامح مش ناوي بقى تقوم وترجع زي ما كنت؟ طوّلت أوي في النومة، لازم تعرف إن ليك ناس بتحبك، لازم تقوى وتقوم وترجع أحسن من الأول.

ظل سامح يلتفت حوله ليجد المتكلم حتى لمح أحدًا قادمًا من بعيد، وما أن اقترب وجدها أُميمة زوجته، وفجأة إهتز هزة شديدة، وسار نحوها بسرعة البرق ليحتضنها قائلًا:

- أميمة! أنا مش مصدق نفسي إني شوفتك، وإنك قُدامي، دلوقتى بس رجعت ليا روحي.

- لكن أنا مش قدامك يا سامح.. ده خيالك هو إللي مصورلك كده، أنا في مكان تاني خالص.

- المهم إني شايفك ولامسك دلوقتي، ولأن في كلام كتير لازم تعرفيه.

- عايز تقول إيه يا سامح؟

- عايز أقولك سامحيني أنا قصَّرت في حقك ولازم تعرفي إني كنت بعمل كل ده علشان أسعدك، وإنتي كنتي عارفة الحياة عاملة إزاي، والواحد كان في ساقية دوَّارة علشان بس يقدر يكفِّيكم.

- بس عُمر الحياة ما كانت زي ما أنت متخيلها إنك تحقق كل حاجة من ماديات،

في حاجات أهم يا سامح؛ في مشاعر، في قُرب، في ابتسامة كانت ضاعت في جفاء ظهر منك، في حاجات كتير اختفت، للأسف الإنسان بيتبدل حاله

تدريجيًا، وبدون ما يحس، بس بعد وقت بيفوق إنه بقى إنسان تاني خالص غير إللي كان، فاكر أنت قولت ليا إيه يوم جوازنا؟

- فاكر طبعًا.. قولت ليكي إني عمري ما هخليكي في يوم تنامي زعلانة، و إن حد زعل من التاني، التاني هيقول له ما ينفعش حد فينا ينام زعلان، ونحضن بعض أوي ونفتكر إننا مالناش غير بعض، وإن الدنيا مش مستاهلة نضيَّع فيها لحظة وإحنا مختلفين.

نظرت له أميمة، وهي تدمع عيناها وتقول:

- بس أنت ما عملتش كده يا سامح، أنت عملت الأكتر من كده؛ إنت حسِّستني إني وحيدة بقُربك، عارف يعني إيه تحسس حد بالوحدة وهو جمبك؟ يعني الموت كان أهون من الإحساس ده، وفعلًا طلع الموت أخف بكتير.

نظر سامح مستغربًا سائلًا:

- يعني إيه الموت طلع أخف يا أُميمة مش فاهم؟

- يعني أنا مُتّ يا سامح وأنت دلوقتي عايش، وأنا إللي ساعدتك في الحياة دي علشان تلحق ترجع حاجات كتير ضاعت منك، قبل ما كل حاجة تخسرها.

- إنتي بتقولي إيه يا أُميمة؟ لاء ما تقوليش كده، أنا مقدرش أعيش من غيرك، أُميمة رُدي عليّا.. أنتي فين؟ أميمة أنتي إختفيتي ليه؟ أميمة.. أميمة، رُدي عليّا إنتي فين؟

قام حسن مسرعًا ليخبر الدكتور ليأتي منقذًا الموقف، ووقف سامي بجانب أخوه ليطبطب عليه قائلًا:

- سامح هوّن على نفسك وارضى بقضاء الله، سامح.. إهدى يا حبيبي ما ينفعش تعمل في نفسك كده، إنت سامعني كويس؟ لازم تفوق وترجع، فوق يا سامح.

وقف سامح يبكي بشدة قائلًا:

- أُميمة لازم ترجع، أُميمة لازم ترجع أُميمة، يا أُميمة ردي عليّا.. إنتي فين يا أُميمة؟

دخل حسن مع الدكتور مسرعًا ووقفا بجانبُه ليشاهداه وهو لا يقول إلا (أُميمة، أُميمة).

رد الدكتور عليهم قائلًا:

- الصدمة مأثَّرة عليه.. وده أمر طبيعي، بل هو كدا بيبدأ يواجه كل الأحداث إللي حصلت، وبيفرضها على عقلُه إنه لازم يقتنع بكل ده، واطمنوا هو كدا في أول مراحل الشفاء.

وما إن أن انتهى حديث الدكتور لهم، وجدوا سامح يحاول أن يفتح عينيه ولكن يواجه صعوبة بالغة.

نظر سامي للدكتور قائلًا:

- طب و ده معناه إيه؟ إنُه مش عارف يفتح عينه، وبيحاول وكأن فيه حِمل كبير أوي مش عارف يفتحها بسببُه.

- ده لأن في تضاد عندُه بين العقل والقلب، العقل عايز إنه يرجع للطبيعة وللحياة، والقلب متأثر بسبب الأحداث، ومش عايز يرجع للي حصل ليه، وخايف من إنُه يرجع ما يلاقيش إللي كانوا ليه، أو بالأصح خايف من صدمة المواجهة، والواقع إللي هيتفرض عليه.

ابتسم حسن فجأة وهو ينظر لسامح ثم نظر للدكتور قائلًا:

- دكتور سامح فتح عينيه

نظر كلا من سامي والدكتور لسامح قائلين:

- حمدالله على السلامة يا بطل.

بعد عدة أيام..

جلس سامح بغرفتُه بالمشفى هو وسامي بمفردهما، ثم نظر له سامح قائلًا:

- أُمال فين نوال يا سامي؟

نظر سامي له بتعجب قائلًا بتلعثم:

- ن.. نوال !
- اه نوال.. هي فين؟ وإياك تكذب.
- وأكذب ليه بس؟ وبعدين بتسأل عليها يعني مش عوايدك.
- مش لازم أسأل على إللي دفنتني وأنا حيّ؟ مش لازم أسأل على إللي بسببها إتعلمت أكبر درس في حياتي، وإللي بسببها سامح بتاع زمان مات، واتولد سامح تاني.

نظر سامي له وهو عيناه تدمع قائلًا:

- أخويا أنا مش عارف أقولك إيه أنا، أنا...

- ما تقولش حاجة يا سامي خلاص.. إللي عدى عدى وانتهى، بس إنت بقى عملت إيه؟ يا ترى حُبك ليها خلاك لسه باقي عليها بعد ما عملت كده في أخوك؟

- وإنت إللي قالك ما قالكش إنها خدت حكم ب ١٠ سنين، وإني طلقتها؟

- طب والله أول مرة تعمل حاجة بجد صح يا سامي، دلوقتي أقدر أقول إن ليا أخ بجد، ولأني كنت هعتبرك ميت لو بعد كل ده كنت لسه باقي عليها، وعلى فكرة أنا محدش قاللي حاجة، أنا وأنا في الغيبوبة سمعت إنها هي السبب في كل ده، ولأني كنت بسمع كل حاجة بس ما كنتش عارف أفوق، كنت في عالم تاني.

- وأنت فاكرني إني كنت هضيع حقك؟ ولا إني أعرف حاجة زي كده، وأبقى على واحدة زي دي؟ والله لولا إنها خدت الحكم، واتقبض عليها كنت أنا إللي هموّتها بإيدي، ولأني مش ناسي كلام أبوك يا سامح إننا دم واحد، وعمري ما كنت هعيش ودمك مهدور، وعلشان أكفَّر عن إللي حصل أنا ناوي أبيع المحل وأدِّيك الميراث كلُه، ولأني ما أستحقش الأمانة إللي أمّنتها ليا، وإنك بسببي إنت إتآذيت.

- لاء أوعى تقول حاجة زي كده تاني. ده رزق ليك ولابنك وهيكون لأولادي إللي أتمنى تكون قد الأمانة وتحافظ عليهم، ولإن الأعمار بيد الله يا

سامي أنا مش ضامن باقي ليا قد إيه في الدنيا، إنت عم أولادي وفي منزلة أبوهم.. حافظ عليهم يا سامي وما تخلهمش يتحوجوا لأي مخلوق.

- العمر ليك يا سامح.. ده أنا الكبير، وأنا إللي المفروض هودَّع الأول.

- يا سامي مش مقياس، والعيد الصغير بييجي قبل العيد الكبير وأديني مُتّ ورجعت بس المرة الجاية مش هرجع تاني لأن الفرصة بتكون مرة واحدة بس.

- ما تقولش كده ربنا يديك طولة العمر، المهم بقى مش ناوي بقى أجيبلك الأولاد تشوفهم؟ وأنت الحمد لله بقيت أحسن.

- لاء مش وقتُه يا سامي.. لسه مجاش وقتهم ولأن مش هينفع يشوفوني بعد التغيير إللي حصل لي دا، مش عايزهم يتعقدوا، ولا يعرفوا حاجة خالص.

- إللي أنت تشوفه يا سامح أنا هعمله، إتأكد من كدا.

- فيك الخير يا أخويا.

****

بعد عدة أيام..

خرج سامح من المشفى ومعه صديقُه حسن وأخوه سامي و هم يخطون خطواتهم بالشارع، وجدوا خناقة كبيرة وناس مُلتفين حولها، يشاهدون الموقف وقف سامح ناظرًا لهم ليفهم ما الحدث الحاصل.

فرأى مجموعة من الشباب يمسكون بأيديهم سنج، وسواطير، ويتحدثون مع الرجل المسن كبير السن قائلين له:

- ها يا حاج هتتنازل عن المحضر، ولا نروَّق عليك؟

نظر لهم الرجل المُسنّ قائلًا بصوت مبحوح يعتليه الحسرة قائلًا:

- سرقتوا التوكتوك بتاع ابن أخويا إللي بياكل منه عيش بعد ما أبوه مات، وعايزنّي أتنازل عن المحضر إللي بطالب بيه بإنكم ترجعوا الحق لأصحابُه، إنتوا إيه؟ ما عندكوش مِلة ولا دين؟

- يعني آخر كلامك إيه يا حاج؟ وإعرف إن المحضر ده فيه موتك، ها.. قول آخر كلامك علشان إحنا لغاية دلوقتي مش عايزين نعمل معاك الغلط.

نظر سامح لسامي أخوه وحسن قائلًا:

- هو إيه إللي بيحصل في الدنيا دي؟ هو إحنا وصلنا لحد كده!؟

نظر له سامي قائلًا:

- يلّا بينا يا سامح من هنا أحسن دي ناس بلطجية، وإحنا مالناش في الكلام ده.

نظر سامح باستنكار قائلًا:

- يعني إيه مالناش فيه؟ واحد بيتظلم عيني عينك، وشايفين شوية بلطجية ماسكينه، وإحنا نسيبُه عادي كده؟ ليه هو إحنا مش بني آدمين؟

رد حسن قائلًا له:

- يا سامح ده عالم تاني خالص، إحنا مش في إيدينا حاجة نعملها.

نظر سامح باستغراب قائلًا:

- إنتم بتقولوا إيه أنتم الإتنين؟ مستحيل يكون ده كلامكم! هو في إيه غَيَّركُم؟ خايفين على إيه ومن إيه؟

ده الرسول وصانا نقف جمب الضعيف، يا إما هنتحاسب إحنا كمان إننا ما نصرناهوش.

ثم نظر متابعًا ما يحدث ومحاولًا الدخول بصعوبة بالغة حول المُلتفِّين حولهم فرأى البلطجية أمسكوا بالرجل بيديه الاثنين قائلين:

- يعني آخر كلام إنت مش هتتنازل؟

رد عليهم الرجل المسن قائلًا:

- ما بتنازلش عن حق يتيم ولو فيها موتي.

- طيب مفيش مشكلة يا حاج، بس خليكوا فاكرين يا منطقة إننا حاولنا معاه وهو ركب دماغُه، وإللي يركب دماغُه ياخد في جنابُه، وإللي يقف قدامنا يستاهل يبقى دمُه من نصيبنا.

ثم أمسك به أحدهم من رأسه وبدم بارد بالساطور قطعوا رأسه والجميع يشاهد ولا يتحرك، حاول أحدهم التحرك، ولكن تم تهويشه من قِبل البلطجية.

نظر سامح و هو يحاول العبور بأقصى ما عندُه وهو لا يصدق ما يحدث وعينيه تذرف دمعًا، وما أن دخل كانوا هرولوا واختفوا من المكان هاربين كالفئران.

وقف سامح حولهم كالمجنون مذهولًا يلتف بحركة دائرية ناظرًا لكل أحد في عينيه ثم قال:

- هو إنتم بني آدمين بجد واقفة؟ ولا إنتم حجر مرصوص كده وبس! قولوا إنكم حجر أحسن ما تقولوا إنكم فعلًا بني آدمين.

ثم بصوت جهوري يعتليه الحسرة والندم قائلًا:

- ده الحيوانات أحسن منكم، الواحد بيشوفهم بيقفوا جمب بعض، أمَّا أنتم واقفين تتفرجوا، وكأنه مشهد سينما قدامكم..

إيه إللي حصل فيكي يا دنيا؟ إيه إللي حصل فيكي يا مصر؟ بقينا بندبح بعضينا عادي، خلاص إنعدمت مِننا الإنسانية! راحت مِننا روح الإخوة! راحت مِننا كل المشاعر! بقينا جامدين ليه أوي كده؟

شايفين الظُلم قُدامنا وواقفين ساكتين؟ لاء وبنتفرج عادي على إنسان بيتدّبح قُصاد عنينا علشان فكَّر ياخذ حق ابن أخوه، ملعون دي أنفاس بنتنفسها على حياة ناس تانية، عايز أعرف ليه ما بنقولش للظلم لاء؟ ليه ساكتين وراضيين إن شوية بلطجية يتحكموا فيكم بسبب خوف عمى قلوبكم؟ ردوا عليّا خايفين من إيه؟ وعلى إيه خايفين؟ من الموت؟؟ خايفين على وهم إنكم عندكم عيال عايزين تربوهم؟؟ لاء، لاء، فوقوا.. دي أكذوبة بتوهموا نفسكم بيها، إنتم خايفين على نفسكم، الجُبن ماليكم... بس أحب أقولكم إن إللي إندبح قدامكم ده، هو إللي عاش بجد، وإنتم إللي أموات ووالله أنتم كمان مشاركين في موتُه، وكل واحد فيكم هو إللي دبحُه بسكوتُه مش البلطجية بس، وإعرفوا إن كل واحد هييجي عليه الدور ما دام خايفين، ما دام ما نصرتوش الضعيف، والله ربنا ما هينصركم، ولازم

تعرفوا إنكم إنتم إللي ضُعفاء مش إللي وقف وقال لاء وإتغدر بيه، وهو عاجز عن إنُه يدافع عن نفسه، مبروك عليه الشهادة بجد.

نظر سامح لكل واحد في عينه، وهو أسفًا مما رآه، و رأى كل منهما تدمع عينيه متأثرًا بحديثه، ثم سمع صوت سارينة عربة الشرطة قادمة، ثم وقف لهم منتظرهم، وأول أن ترجّل الضابط والعساكر من العربة وجَّه لهم حديث قائلًا:

- يا سيادة الضابط.. يا حكومتنا الكريمة الموقَّرة... سؤال نفسي أسأله من زمان ليكم؛ ليه بتيجوا متأخرين دايمًا بعد الكارثة ما تحصل؟ ليه إللي يستنجد بيكم ما بتسمعوش ليه إلا لو حد كبير منكم أو بعد ما الدم يكون غرق المكان؟؟

دلوقتي إللي اتدبح غدر ده دمُه في رقبة مين؟

أول حاجة هو في رقبتكم، وفي رقبة كل واحد وقف واتفرج، وما حاولش يوقِّف النزيف إللي حاصل المفروض إنكم بتحمونا وبتجيبوا الحقوق لبعضها، ليه بقيتوا تسيبونا للكلاب تنهش فينا؟ فين الردع فين؟

فين قوانينكم؟

ولا قوانينكم ما بتجيش إلا على الغلبان المظلوم، وسايبين السفلة الحقيقين! لازم يكون في ردع حقيقي لكل بلطجي.

لازم تكونوا أمان لينا مش خنجر تغرسوه في قلبنا.

عايزين نحس بالأمان في بلدنا، ما هو لو ما حسيناش في بلدنا، هنحسها فين؟ قولولي وردوا عليّا؛ لو ما حسيناش بالأمان في بلدنا هنحسها فين؟

يا سيادة الضابط ...

بلِّغ رئيسك إللي فوقيك إننا عايزينكم بجد تكونوا ضهرنا، عايزين بلدنا تكون في أمان، عايزين الناس ترجع ليها الإنسانية من تاني، عايزين إنكم تبقوا خايفين علينا بجد مش خايفين على الكبار وبس، لأن في النهاية كُلنا بشر وإنتم ربنا وضعكم في مراتب عُليّا، مش علشان ترتاحوا فيها وتستغلوها غلط، ربنا وضعكم في المرتبة دي علشان تكونوا أمل لكل مظلوم، وأمان لكل ضعيف، ورهبة وخوف لكل طاغي بلطجي، عايزين الدنيا غابة يسرحوا فيها.

يا مصريين..

فوقوا بقى بجد وكونوا إيد واحدة، بلاش التفرقة إللي قسمتنا، بلاش كل واحد يبُصّ للتاني من برج عالي، والله كلنا ولاد تسعة، والله كلنا هننزل في حفرة متر في متر، ما بيفرقش فيها أمير من غفير، كلُه سواسية قدام ربنا إلا بالتقوى، والعمل الصالح؛

فوقووا بقى، ورجعوا الإنسانية من تاني لإننا للأسف بقينا أسوأ بكتير أوي من الحيوانات، دي حتى الحيوانات بتحس ببعضها، أما إحنا مات من جوانا الإحساس!!

كفاية تخلّوا العدو يضحك علينا، وهو شايفنا وإحنا إللي دم واحد، واخوات للأسف بنقطّع وبنقتل في بعض، هنوصل لإيه تاني عايز أعرف؟ كفاية بقى تغييب عقول، لازم تكونوا واقفين مع بعض وإيد واحدة، لازم العالم كلُه يعرف إننا المصريين واحد، وبلاش نقول المصريين بس.. بل نقول إننا العرب واحد، مش إتنين، ولا تلاتة، ولا أربعة عارفين ليه لأننا لو فضلنا

متقسِّمين، يبقى عليه العوض في بلادنا، لو فضلنا كده يبقى هييجي علينا يوم، والعدو هيسحل شرفنا قدام عنينا، وإحنا واقفين نتفرج زي ما إحنا واقفين كدا،

فـــوقـــوا، فـــوقـــوا، فـــــوقـــــوا.

اللعبة بدأت من زمان علينا، وهمّا مبسوطين إننا وصلنا لكدا، جه الوقت إللي نُقف فيه بجد، وقفة رجالة ونحاسب نفسنا، ونكون بني آدمين بجد نستاهل لقب الإنسانية.

****

كلنا واحد كلنا إنسان
كلنا واحد، مفيش اختلافات
على الفطرة كله اتولد
من أجل عبادة الرب الأحد
لا الشكل ولا اللون يميّزنا
دي الإنسانية
هي إللي تفرق بين كل واحد مِنا
وقلبنا وإحساسنا هو إللي
بعيّشنا،
لا المكان، ولا الزمان
يغير إنسانيتنا،
ولا اختلاف شرائع الأديان
تفرق ما بينّا
كلنا واحد اسمنا إنسان
عبادتنا لله
وتعاملنا واحد
مع أي شخص مهما كان،
في النهاية
كلنا انسان
اتولدنا لا بإيدينا، اخترنا لوننا ولا شكلِنا
ولا بإيدينا اخترنا شريعتنا ولا أهلِنا
ولا بإيدينا اخترنا بلدنا ولا سكننا
يبقي ليه بنحكم على بعض كلنا

ونفرق معاملتنا بالشكل ده

لا دين يسمح بظلم إنسان

ولا الإنسانية تسمح بالطغيان

ده العدل ركن من الإيمان

من أجله جاءت الأديان

كلنا واحد

كلنا إنسان

هدفنا واحد ربنا يكون راضي عنا

وجنة تجمعنا على راية الإسلام توحدنا

وهو ده بجد أملنا

****

(١٣)

ما أصعب الذكريات التي تُطاردنا، فهي الشيء الباقي بِنا
والتي مهما طالت بِها السنين تظل حية لا تموت..
من السهل أن تمحو إنسان من على وجه الأرض، ولكن من الصعب
والمستحيل أن تمحو ذكرياتُه.

اليوم ٢٧ \١\٢٠١٩

وقف سامح الحسيني أعلى كوبري قصر النيل ناظرًا إلى السماء، ويداه متكئة على سور الكوبري يستدعي شريط حياتِه، بينما يقف بجانبُه صديقُه حسن شاردًا هو الآخر يتذكر ذكرياته مع إيمان زوجته، ورفيقة عمرُه، بعد أن فارقتُه عند وضع مولودتها التي هي نسخة طبق الأصل منها، وسُمِّيت باسمها؛ إيمان،

وقف كل مِنهما سارحًا في ملكوتُه وعالمُه الخاص، فما أصعب الذكريات التي تُطاردنا فهي الشيء الباقي بِنا، والتي مهما طالت بها السنين، تظل حية لا تموت، من السهل أن تمحو إنسان من على وجه الأرض، ولكن من الصعب والمستحيل أن تمحو ذكرياتُه؛

فالذكريات هي التي تقودك إلى المستقبل، هي التي أحيانًا تُصبِّرك على بلاء الحياة وتهوِّن عليك مصاعبها، أو هي التي تقتُلك وأنت حي، متوّهِّم مَن يقول يستطيع أن ينسى ذكرياتُه، أو مَن يقول أستطيع أن اجعلك تنسى ذكرياتك سواء السيئة أو الحسنة،

فجميعنا كاذبون، بل ونعيش الكذبة على أنها الصدق، إننا ننسى والحقيقة تظل داخلنا وقليل مَن يجرؤ على المواجهة، وأن يُعلن أن الذكريات تظل حية إلى أبد الآبدين، فنحن لا ننساهم.. بل نحن نعيش على الأنفاس التي في يوم تنفسناها معهم.

فما أصعب أن تتنفس وأنت ميت من طعنات الحياة، ومَن كُنت تتشارك معُه وتسيروا سويًا، الآن أصبحت وحيدًا تمشي بمفردك، بل والقاتل أنك تدهس عليه بأقدامك، وأنت تسير على الأرض وهو موضوع أسفلها.

نظر حسن لسامح خارجًا من شروده وطول صمته قائلًا:

- وبعدين معاك يا سامح؟ هتفضل سرحان كتير، إتكلم معايا وفضفض، وبعدين الدكتور قال إنك بقيت بخير، ولازم تتكلم علشان تُخرج برة الحالة دي ونفسيتك تتحسن.

اعتدل سامح في وقفته بعد أن كان مُتكئًا ناظرًا لحسن قائلًا:

- أتكلم أقول إيه يا حسن؟ أقول إننا بنتظاهر إننا بخير وإحنا جوانا مليون وجع! أي حالة عايزني أخرج منها يا حسن، إن حبيبتي راحت مِني بسبب غبائي، ولا زوجة أخويا إللي اتجردت من كل الإنسانية، ودفنتني وأنا حي علشان إيه؟ مُجرد ورث! وكمان مش إللي عليه القيمة يعني، وإللي هو أنا عمري أصلًا ما فكرت فيه، ليه فيه ناس بتعمل كده؟ ده لو شافوا إللي شوفته هيعرفوا حاجات كتير أوي تشيِّب، وهيفضلوا إنهم يموتوا من الجوع ولا إنهم يفكروا يئذوا حيوان حتى.

أكون كداب لو قولت إن إللي في حالتي ينفع يرجع زي ما كان، إللي مات ما بيرجعش يا صديقي.

- بس أنت رجعت أهو و قدامي واقف.

- ده بس علشان في حكمة من كده، وإن ربنا إداني فرصة أغيَّر الدفة من إلى، أنا ممكن أكون رجعت قدامك كجسم.. بس كروح أنا لسه مدفون في قبري، تقدر تروح هناك وتترحَّم عليّا.

- خليك مؤمن بالله وما تقولش كده.

- أكبر غلط وهموه ليكم إن إللي بيحزن ده مش مؤمن، وضعيف الإيمان، ده الرسول حِزن على ولدُه لمّا مات، وحِزن على زوجتُه واتسمَّى عام موتها بعام الحزن، يبقى إزاي إللي بيحزن نقول عليه مش مؤمن أو ضعيف الإيمان؟؟

إحنا لو ما حسيناش بجد بألم الفراق والناس نبقى ما نستاهلش نكون بني آدمين،

حتى أنت بتحاول تخرَّجني من إللي أنا فيه، وأنت مدبوح من جواك، بعد ما زوجتك إيمان توفّت -ربنا يرحمها-، ويرحم أميمة.

أنت بس بتصبَّر نفسك ببنتك ربنا يحفظها ليك، بس لازم تعرف إن؛

الكل بيصبَّر نفسه، في إللي بيعيش على أمل الناس إللي بيعيش ليهم، وفي إللي بيعيش على أمل الدنيا الآخروية، ولولا الأمل لكان كل واحد مات في لحظتها يا صديقي.

- أنت بتقول فيها!؟ دي فعلًا حقيقة، كل واحد فينا عايش على الأمل، أنت ما تتصورش إحساسي كان إيه لما فارقتني إيمان... إحساس كأنك متجرَّد من كل ملابسك في يوم الجو فيه بيشتي ثلج.

المهم عشان ما نقلبش المواجع على بعض، أنا عايزك تفوق شوية، وتروح تقابل سارة وعُمر ولادك، ولا أنت نسيتهم و لا إيه؟

- أنا أكتر واحد فايق، عارف ليه؟

نظر له حسن بتركيز قائلًا:

- ليه بقى؟

- لأني شوفت الحقيقة كاملة إللي كتير بيكذِّب بيها ومش مصدقها، أو مش متصور حجمها، ومش عامل حساب ليها وفاكر إنها هتعدي بالساهل، أنا شوفت وعشت يا حسن.. عارف يعني إيه شوفت وعِشت؟

- إيه هي الحقيقة يا سامح؟ وإيه إللي شوفتُه؟؟

- إننا كُلنا بحساباتنا إحنا وأعمالنا ضايعين، لكن برحمة ربنا بس، وإبتسامة أنت تكون سبب فيها لحد غلبان أو طفل يتيم أو حد محتاج مساعدتك أنت هتكون أكبر فايز بإنك تاخد تأشيرة نجاح من أهوال ربنا وحدُه إللي عالم بيها، وكل واحد مات ومن ضمنهم أنا، لأني عرفت إن الدنيا دي إللي الكُل بيتصارع عليها، والأخ بيقتل أخوه على شوية ورق سمُّوه مال، لأنه ميل الناس عن الحق، إن الدنيا دي ولا حاجة، ومحدش بيشوف قُدام مصيرُه هيكون إيه.

للأسف الكل باصص تحت رجليه وبس، وناسي إن إللي تحت رِجليه ده هو إللي عايش وإللي فوق هو إللي ميت.

نظر له حسن باستغراب قائلًا:

- تُقصد إيه يا سامح؟ إتكلم بوضوح أكتر وبدون ألغاز.

نظر سامح إلى الأرض ثم أخذ أنفاسه، وبعدها نظر حولُه ليجد أُناس استمعوا لحديثُه ورآهم يقفون ليسمعوا كلامه، ثم تكلم بصوت جهوري قائلًا:

- أقصد إن الكل -ومن ضمنهم أنا- نسينا إني هنسيب الدنيا دي كلها، وهنموت وهنكون لوَحدنا في مكان مُظلم، وبعد ما عشت وشوفت أحب

أبشَّرك إن الرحلة صعبة أوي ومحدش ناجي إلا إللي عايش مع ربنا وبس وبيحب الخير للناس، وسايب بصمة خير في الدنيا.

وفي وسط تأثُّر سامح مع الكلام بدأت تأتي مجموعات أخرى من الشباب، ليستمعوا لما يقوله سامح، ثم أخذ ينظر للجميع في تحدي وقوة شديدة لِما يحمله من رسالة قائلًا:

- كلامي ليكم كُلكم... إللي بيتكلم قصادكم وإللي شايفينه شعرهُ أبيض وواقف ده مش عجوز ، أنا من سنة كان عندي ٣٧ سنة، ودلوقتى أنا إللي إنتم شايفينه ده عندُه ٣٨ سنة، عاش شهرين بأعماركم كلها، إللي حصل ليا إني اتدفنت وأنا حيّ وشوفت أهوال تِهدّ جبال، عارف يعني إيه أنت في لحظة ممكن تسيب الدُنيا كلها إللي أنت متمسك بيها؟

للأسف كلنا بنتمسك بيها بس هي ما بتتمسكش بحد، أنت مش هينفعك لا مالك، ولا أي مخلوق في الدنيا كلها، ولا أي سُلطة كانت إنها تحوش عنك حساب الملكين في القبر، عارف يعني إيه تكون في عالم تاني مافهوش غيرك وبس؟ ناس منظرهم عجيب مُميت بيسألوك، وأنت بطبيعتك بتخاف من الضلمة؛ أُمال تخيَّل نفسك وأنت وحيد وبتتسئل على كل همسة، أنت بتتحاسب على الذرة، والحرف، الموضوع أكبر من كلام كُلنا عارفينُه، لأنه يفوق بصرنا الحالي، ومحدش هيشوف الحقيقة إلا في لحظة واحدة عند دخول ملك الموت، بس للأسف هو بييجي من غير سابق إنذار، وده إللي بيخليك تتفاجئ، وتبقى نفسك تعمل المستحيل علشان تلحق نفسك بأي حاجة تقابل بيها ربنا كويسة، بس بيكون الوقت فات.

يا ترى هتفضل مأجِّل إنك تكون حد فعلًا جدير بمقابلة ربنا؟ ولا تستعد قبل ما يومك ييجي؟ إعرف إن إللي هينجيك بس، إلتزامك بصلاتك، وعمل صالح سواء ولد ليك أو حد ساعدتُه أو أي عِلم صالح يُنتفع بيه.

عايز الخُلاصة؛

لو أنت خايف من الموت؛ صلِّح علاقتك مع ربنا، وأصبر لأن النار حُفَّت بالشهوات والجنة حُفَّت بالمكارِه

وإسأل نفسك أنت تايه وعايز تفوق، ولا أنت فايق وعايز تتوه.

والكلمة الأخيرة هي يوم موتك؛ لأنها هي يوم قيامتك وفيها بيتحدد مصيرك، من أول ما بتدخل القبر، بتعرف إنت في جنة ولّا العياذ بالله في نار ربنا يبعدنا عنها، ولا ليه من أول ما بتدخُل القبر ده الحقيقة إن من لحظة خروج روحك وأنت بتعرف مصيرك إيه... ولازم تعرف إن يوم القيامة هو يوم موتك، فكُن جاهز لأي لحظة في حياتك لأنها ممكن تكون آخر لحظة هي لحظة قيامتك،

ثم جاء صوت الآذان مقاطعًا لكلام سامح، ثم نظر لهم قائلًا:

- استمعوا للأذان وبعديها نكمل، لأن إللي يتكلم وقت سماع الأذان إللي هو أفضل شيء في الدنيا، ده خسران كتير أوي، لأن لا صوت يعلو فوق صوت أذان ودعوة الله عز وجل ليك، ده غير إللي بيردد مع المؤذن بيكسب آلاف من الحسنات.

وقف الجميع في صمت ينظرون لحالهم، ويرددون مع الأذان، ومنهم إللي أول مرة يسمع الأذان بجد، ويحس بيه وبعد أن انتهى الأذان عاد سامح قائلًا:

- عارفين الأذان إللي كل يوم بنسمعُه خمس مرات ده، معناه إيه وإيه رسالتُه ليكم؟

ظل الجميع في صمت إلى أن أردف قائلًا:

- الأذان بيبدأ ب الله أكبر؛ يعني الله أعلى وأجّل وأكبر، من أي حد والدنيا دي كلها، وهو الغني عن عبادة، ولا يضرُه أي شيء، إن عصيت أو إهتديت فهو الغني، وأنت الفقير ليه أنت إللي محتاجُه فبينادي عليك كل يوم خمس مرات، علشان يقولك أنا خصصت خمس أوقات ليك نتقابل فيهم، لأنك محتاجني فتعالى قابلني، وأُطلب وفوق كل ده هاغفرلك ذنوبك،

عارفين المؤذن بيقولك حيّ على الصلاة ومعناها؛ تعالى على أفضل الأعمال، وهي الصلاة على وقتها ودعوة ربك للقائه، ومسارعه إلى إطفاء نار الذنوب، والقيود إللي إتقيدتم بيها في دُنياكم .. عارفين معنى حي على الفلاح، يعني بيقولك؛ تعالى لبقاء مافهوش فناء، ونجاة مفيش هلاك معاها تعالوا إلى حياة بجد ما فيهاش ممات، ولنعيم ما بينفدش آبدًا، و لمُلك لا يزول، ولسرور مفيش حُزن معاه، ولنور مافهوش ظلام، ولِسعة معهاش ضيق، إيه في الدنيا أكتر من كده يخليك ما تستجِبش للنداء إللي ربنا كل يوم يقولك فيه تعالى أنا في انتظارك، أنت بتدّعي إنك مشغول وعن مين؟ عن إللي خلقني وخلقك وخلق الدنيا دي كُلها.. أنت بجد مسكين!، ومسكين أوي كمان، لأن الشيطان قدر يضحك عليك، ويصوَّرلك إن إللي بتعملُه أهم من

مقابلة ربنا، ده أنت لمّا بتعمل مقابلة في شغل بتلبس أفضل ملابس عندك، وبتحضر قبل المِعاد.. ليه؟ علشان ده إللي هيشغلك وهتأخد مِنُه فلوس، أقولك على حاجة؟

ثم صمت الجميع مستمعين له وأخذ هو يمسح دموعه التي فاضت مِنه بدون وعي وأكمل قائلًا:

- أنت لو فكرت في الموقف ده بجد هتلاقي نفسك أشركت وأنت مش حاسس لأنك خلّيت ربنا آخر مهامك وأولوياتك، بل واعتقدت بفكرك الضيق إن إللي رايح ليه تعمل مقابلة شغل ما هو إلا مُجرد عبد لله، وإن رزقك بإيد ربنا بس، وبرغم كل ده وعمايلنا السودا ربنا بيعطينا من كرمُه ولطفُه، وبرحمته بينا، وكل يوم بيرزقنا وإحنا بنعصيه بالنعم إللي أنعم علينا بيها، إجلس مع نفسك، وفكر لأن حياتك ونفسك تستاهل إنك تفكر إزاي تعدي بيها لبر الأمان لأن لفحة النار مش سهلة، ده أنت لسعه من نار الدنيا بتخلّيك تنتفض.. ما بالك بالآخرة بقى!، واطمن وارتاح لأن والله والله الذي تهتز له سبع سماوات مفيش نفس هتموت قبل ما تستوفي رزقها وأجلها، فأجملوا في الطلب والسعي...

وقت المقابلة وجب الآن.. بينا يا حسن على المسجد نصلّي، وإللي حابب يزوره ويفضفض ليه هو مستنيك دلوقتي، يا تدخُل بنفسك وبرضاك وينولك من رحماتُه، يا برضو هتدخُل بس غصب عنك وحاملينك فوق الأكتاف... بس وقتها ما تلومش إلا نفسك، والإختيار ليك.

أدار سامح ظهره للمتجمعين حولُه، ثم خطى بخطوات مُسرعة نحو المسجد، وبرفقته صديقُه حسن ومن خلفهم حشد يريدون أن يلتقوا

ويتعرفوا بِمَن خلقهم ويستشعروا قُربُه.. فكل روح مِنهم مُتعبة كل التعب من هذه الحياة المُرهِقة..

وأثناء سيرهم للمسجد تكلم حسن سائلًا سامح:

- ما جاوبتنيش يا سامح؛ مش ناوي تقابل ولادك؟

- أنا في نظرهم مسافر... كفاية إني بكلمهم على التليفون، وبطمّنهم عليّا وبتطمّن عليهم، خلّيهم محتفظين بآخر صورة كانت جميلة ليا، لأنهم لو شافوني دلوقتي ممكن إحتمال كبير يتصدموا من وضعي إللي أنا فيه دلوقتي، فخلّيني مسافر في نظرهم لأن؛

إللي مسافر يا صديقي ما بيرجعش، وبالذات السفر إللي مَا مِنوش رجوع خلاص انتهى،

وإللي بيتعود على السفر بيعيش دايمًا غريب حتى لو في وسط أهلُه، وأنا في غربة ومستني الرجوع لوطني الحقيقي .

دلوقتي بس أنا حاسس براحة شديدة أوي جايز لأن القلب المرة دي هيرتاح بجد بدون تزييف.

****

خرج سامح وحسن من المسجد بعد أن أدَّيا الصلاة، ثم نظر سامح لحسن قائلًا:

- أنا عايز أطلب منك طلب.

نظر له حسن بترحيب شديد قائلًا:

- أُطلب يا صديقي وأخويا وكل حاجة ليا.

- أنا عايزك تهتم ببنتك أوي.. حاول تعوَّضها، كُن ليها أب وأم.. خليك صاحب ليها، وإوعى تقسي عليها.. القسوة وحشة أوي، هي جت للدنيا صفحة بيضا حاول تحافظ على البياض ده عندها لأنك مسئول عنها وإللي بيتخذك صديق مش هيلاقي غيرك عشان يفضفض ليك، يا ريتك تفهم الجملة دي أوي وتحفظها وتعلمها لغيرك، ويا ريتهم يفهموها..

أغبياء إللي فاكرين القسوة والشدة بتجيب نتيجة، بالعكس بيخلّوا أولادهم يدوَّروا على العاطفة برة،وحابب أوصّيك؛ خلّي بالك من ولّادي.. أنت أبوهم التاني بعديًا.

ثم توقف سامح عن السير وأخذ يفكر للحظات ثم أدخل يدُه في جيب بِنطاله، ثم أخرج منها ورقة قائلًا موجهًا نظراتُه لحسن:

- خد الورقة دي ما تفتحهاش إلا لمّا تحس بإحساس مُعيَّن، وقتها أنت هتعرف بنفسك.

- ما تقولش كده، ربنا يبارك في عُمرك، وبطل الأحاسيس دي أنت تمام وزي الفل وأنت إللي هتكبَّر ولادك كمان، ويا سيدي عشان أريحك اتطمن وما تقلقش عليهم همّا في عينيا.

- أنا مش قلقان.. إللي رأف بيا وأنا في عالم تاني عن الدنيا دي هيرأف بهم وهما على قيد الحياة، وأنا سايبهم لربنا وهو مش هيضيعهم أبدًا؛

ساذجين أوي إللي بيكونوا خايفين من الموت عشان هيسيبوا ولادهم وكإنهم هما إللي بيرزقوهم وبيحفظوهم من أي مكروه، يا ريتهم يفهموا إنهم مجرد أسباب والله وحدُه هو الرزاق وهو الحافظ، أنا همشي دلوقتي لأني

محتاج أأقعد مع نفسي وأفكر مع حالي، محتاج أروح لحد واحشني أوي أتكلم معاه.

- هتروح على فين يا سامح؟
- رايح أتكلم مع أُميمة لأنها وحشاني أوي.
- طب أنا هاجي معاك، ما ينفعش تروح لوحدك.....

نظر له سامح مقاطعًا له قائلًا:

- لا يا حسن أنا محتاج أبقى لوحدي المرة دي، وما تقلقش عليّا.. المكان ده أنا حافظُه صمّ وبقيت من أهلُه، ومش بلاقي راحتى الحقيقية غير فيه.

وأخذ يبتسم مهوِّنًا قائلًا:

- وبعدين أنا بتسع أرواح يا صديقي.. إللي خلّاني أعيش رغم كل إللي شوفتُه مش هيخلّيني أموت بسهولة كده.. ولا إيه؟
- ماشي يا عم التسع أرواح ربنا معاك، وأنا هروح أشوف إيمان زمانها بتصرخ، وجارتنا ست كبيرة تلاقيها بتشد في شعرها.

نظر سامح لحسن نظرات عميقة ثابتة وتبسم، ثم قال لحسن:

- بالحُضن يا حسن.

تعجَّب حسن من طلبُه لكنُه فرِح وابتسم ثم..

أخذ الصديقان يتعانقان وكأنُه عِناق ما بعدُه عِناق آخر، وشَعر حسن أن هذا العناق ليس عِناق مُحبٍ فقط، لكنُه عِناق وداع بلا رجعة، وآلمُه هذا الشعور ولكنُه لم يجد سبيل إلا أن يُربّت عليه بِحُبٍ شديد قائلًا:

- خلّي بالك على نفسك يا سامح، أنت إللي طلعت بيه من الدنيا دي، ما تسبنيش لوحدي.

- مش هسيبك يا حسن.. لينا لقاء في مكان ما يتخيلهوش بشر يا صديقي.

****

أسوأ ما بالفراق لحظات الوداع، لحظة إدراكك أنك لن ترى هذا الشخص مرة أُخرى.

ترك الصديقان بعضهما البعض جسدًا ولكنهما لم يتركا بعضًا قلبًا ولو للحظةٍ واحدة، وأخذ سامح يسير في الطرقات ينظر لمَن حوله متفقدًا أحوالهم.

ينظر إلى السماء.. الأرض.. الشجر.. النيل.. التراب، إلى طفل صغير، ورجلٍ مُسنّ يتوكأ على عُكازٍ ليقاوم شيخوخته، وآخر شاب فقد إحدى رِجليه ولم يجد وظيفة يقتات مِنها فأخذ يتعكز على عُكازين ليبيع سلعة ما، ولم يجعلُه العجز يستسلم ويجلس بل جعلُه يقاوم من أجل الحياة.

ثم أخذ ينظر إلى فتاة صغيرة تُريد عروسة لتفرح بها، وتُمارس دور الأمومة التي وجدت بالفطرة بِها.

ونظر لرجل يقوّم امرأته ويُعنِّفها، وهذه أيضًا فطرة الله جعلها في الرجال؛ القوامة والشدة والحكمة.

أخذ سامح يتأمل ويتدبر وينظر للأشياء وكأنه لأول مرة يراها ويستشعر بِها عن قُرب، يستلذ بأحوال هذه الحياة وتضادها، ثم أخذ نفسًا عميقًا ليحس بروعة الحياة؛

فمعنى الحرية النفسية الحقيقية هي عندما تتحرر من قيود الحياة وأصنامها الكثيرة، لتصبح مع الله فقط وقتها تكُن حرًا طليقَ النفس تستنشق هواء الحياة.

فهذه نعمة لا يدركها إلا من حُرم منها.

وكذلك أي نعمة بهذه الحياة لا يشعُر بِها الإنسان إلا بعد فقدانها، فهل من الممكن أن نتوقف لحظة لنشُعر بهذه النعم؟

ولمَن لا يشعر فأقول له: اِذهب إلى إحدى المستشفيات وانظر لأحوال الناس وآلامهم، اذهب إلى السجون لترى كم مظلوم وترى كم من غفلة أودت صاحبها بداخل قفص ليُحكَم عليه بالإعدام، اِذهب إلى الملاجئ ودور الأيتام، إلى بلد بِها حروب وأُناسها ينتظرون بأي لحظة قذيفة تُنهي حياتهم لتشعُر بالأمان، اُنظر في الشوارع والطرقات وأنت تجد مَن بلا مأوى وبلا غطاء يقيه من مطر الشتاء والهواء البارد.. فإنه لشعور مميت، إن كنت لا تشعر بالراحة رغم كل النعم فراجع جيدًا علاقتك مع الله لأنها من المؤكد أن بِها خلل.

وصل سامح إلى قبر أميمة وجلس على صخرة أمام القبر قائلًا رُثاء:

اه على الأيام لمّا تفرّقنا عن أعز ما لينا

وتأخذ مِنا أحلامنا قُصاد عنينا، وإحنا مغصوبين
واه على الأيام لمّا تفرّقنا عن أعز ما لينا
وإحنا مع بعضنا كنا مِختلفين
ساعتها بس بنتمنى لو الزمن يرجع بينا
كنا نقرب في كل ثانية من بعضنا
ولا يوم يعدي علينا وإحنا عن بعض مشغولين
وأهي الأيام وبتعلمنا، ودايرة بتجمعنا في نفس الطريق
وأهي ماشية الأيام في دايرة الحياة
ما بيحسش الإنسان بقيمة إللي معاه

إلا لمّا يضيع ويكتشف إنُه بقى وحيد
يا ريتنا بنتعلم، وللأسف بنتندِّم
بس بعد ما نموت من جوانا واسمنا عايشين
سامحونا يالّي فارقناكم حاسّين إحنا
قد إيه ظلمناكم ومَا كُنّاش مِنكم قُريبين
يا ريتنا لو نتعلم لسه الفرصة قُدامنا
نقرَّب من الباقيين .

سامحيني يا أُميمة أنا قصرت في حقك كتير أوي، وربنا خد حقك مِني، ودلوقتى اتعلمت بس للأسف بعد فوات الأوان...
إتعلمت يعني إيه إهتمام بجد
يعني إيه حُب.. يعني إيه روح بتعيش معايا،
إتعلمت إني أعيش بجد.. إني ما أنشغلش بالزينة عن المكان، ما هو المكان لو راح يبقى الزينة هتتزين لمين ؟؟

اتعلمت إن الدنيا خدَّاعة وللأسف كتير بيتخدع فيها، وإن الكون مليان بالمعجزات بس مين يبُص ويتأمل بجد؟
اتعلمت إن الحُب إهتمام مش كلام، إن الحُب حياة.. أنفاس، ولو انقطعت الأنفاس يموت القلب إللي بيه بنعيش...

اتعلمت أقرأ زي ما الكاتب الدكتور أحمد خالد توفيق -ربنا يرحمُه- كان هدفُه الشباب يقرأ، ومش يقرأ وبس كدا.. لاء كان يقصد يقرأ ما بين

السطور، يقرا الناس ويفهمها عشان يعرف يعيش وسطهم، دكتور أحمد كان حاسس بوحدة رغم كل إللي حواليه وعشان كده كان بيحاول يلفت نظرهم وإنهم يقرأُوه هو الأول، وللأسف ما شافش ثمرة القراءة دي غير بعد موتُه، وده خير كبير أوي....

اتعلمت إني أعيش كل لحظة كأنها اللحظة الأخيرة؛ زي ما رائد التغيير الدكتور إبراهيم الفقي كان بيقول -الله يرحمُه-، لأنها جايز تكون فعلًا اللحظة الأخيرة، وإني أعلِّم الناس الخير لأن كل شئ في الأرض من ملائكة وعوالم الأرض والبحار والسماء يُصلُّون على مُعلم الناس الخير.

علشان كده بطلت أتكلم على فلان وعِلان، بطلت أطلّع ألفاظ ما ترضيش ربنا لأنها جايز تكون اللحظة الأخيرة، ويا ترى لو كانت فعلًا اللحظة الأخيرة هيكون حلو إني أموت وأنا بقول لفظ مش كويس، أو بتكلم على حد أو بَنِمّ، أو بستقوي على ضعيف أو أيًّا كان؟ يا ترى وقتها أقول لربنا إيه؟ علشان كده؛

إتعلمت إني أفكر في أي حاجة قبل ما أقولها أو أعملها، وأشوف هي يا ترى هتكون في أي ميزان عند ربنا؟ عشان لو غلط ما أعمِلهاش ولا أقرب مِنها، ما هو محدّش هينفعني لمّا أتعذب بسببها، ولو صح أعملها ولو في نظر الكون كلُه غلط ما يهمنيش حتى لو هموت لأن؛ خسارة الناس تتعوض أمّا خسارة ربنا ما تتعوضش.

اتعلمت إني ما أستقلِّش بالكلمة ولا بالحرف لأنُه كلُه بيتكتب، وبيتدوِّن؛ الكلمة يا تكون حسنة يا سيئة مالهاش ميزان تالت للأسف...

والأكتر من كل ده اتعلمت إني أكون إنسان بجد قبل أي شئ لأن؛

الإنسانية مالهاش دعوة بدين أو طائفة أو مهنة أو سُلطة أو بلد أو مكان أو زمان أو قريب أو غريب.. الإنسانية هي روح إنسان ليه حق زيُّه زيك في الحياة ووجب علينا جميعًا نحترم الروح دي ونقدّسها ونحافظ عليها.

سامحيني يا أُميمة، سامحيني كان نفسي أكون زوج جدير بيكي وبِحُبك ده...

ثم أخذ يبكي حتى إمتلأت عينيه بالإحمرار الشديد، وإذ فجأة شَعر بِمَن يُطبطِب عليه قائلًا:

- مِسَامحاك يا سامح مِسَامحاك!!

نظر خلفهُ بهدوء، وما أن أدار وجهُه للخلف أخذ يُحدِّق بعينيه غير مُصدق لِما يراه ثم قال:

- أميمة!!! مش معقول! إنتي إزاي ظهرتي؟ إنتي مش ميتة دلوقتي؟
- أنا فعلًا ميتة بس أنت الوحيد إللي من حقك تشوفني دلوقتي.
- ليه أنا بس إللي من حقي أشوفك دلوقتي!؟
- لأنك إنت ميت بس لا زلت حيًا يا سامح.. يا ترى جاهز؟

أومأ برأسه متعجبًا قائلًا:

- جاهز لإيه؟ و بعدين يعني إيه ميت لا زلت حيًّا؟ هو في ميت بيفضل حيّ!!؟

- يعني إنك تكون ميت بس لا زلت حيًّا بأعمالك الخير، بأولادنا إللي كل ما يعملوا حاجة خير بتعود لينا، بالحسنات الجارية إللي ما بتوقفش، بثمرة جهدك وتأثيرك في الحياة.. لا زلت حيًا بكل واحد نصحتُه، وكلامك أثّر فيه وإتغير بسببك يا سامح، وبكل واحد علمتُه عِلم خير،
وبرضو فيه العكس وده الأصعب؛

في ناس بتموت وبتفضل حية بس بالأعمال السيئة، ومحدش فاهم النقطة دي؛ إن أصعب حاجة على الإنسان إنُه يكون مات لكن عندُه سيئات جارية لسه شغالة لحسابُه بعد الموت، زي مثلًا نشر حاجات ما ترضيش ربنا أو أغاني سيئة تدعو للرذيلة، أو صور فيها بنات ظاهرة أجزاء من جسدها ما ينفعش تظهر للناس، بالمفيد كده أي حاجة تكون شرً وفتنة للناس تبعدهم عن ربنا..

أمّا الأقل صعوبة وده بيعتبر إنسان هنقول إنه كسب وهو إللي مات ووقفت عندُه السيئات، ولكنه برضو مالهوش أي حسنات جارية، وده برضو خسران لأنه ما حاولش يسيب حساب حسنات تعينُه في الرحلة إللي هيكون فيها لوحدُه..

ودلوقتي بسألك تاني: جاهز يا سامح للرحلة الأخيرة؟؟

إنت قولت إنك غريب، ومستني الرحلة لوطنك الحقيقي؛

ودلوقتي ميعادك للرجوع للوطن الحقيقي

وطن ما فهوش فراق تاني

ما فهوش تعب ولا وهنّ

وطن ما فهوش أنانية ولا كِبر

ولا نفاق ولا خداع

ولا كذب ولا حقد

ولا غِلّ ولا شر

ولا ظلم ولا استبداد وقهر

وطن حقيقي.. وطن سعادة.. راحة.. خير فعلًا بجد

وطن ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وإللي ما تعرفهوش يا سامح؛

إن الموت هو كل بداية حلوة يعجز الكلام عن وصفها بس بشرط إنك تكون إنسان نقي بجد، إنسان بيرضي ربنا وبيعمل إللي أمرُه بيه، إنسان بيحسن للي أساء ليه، إنسان عايش لله وهمُّه الله مش همُّه بشر فانيين.

وبرضو ممكن يكون الموت يا سامح بداية لكل شيء سيء بل أسوأ بكتير أوي، حاجة كده ما تتخيلهاش ولا يتصورها عقل إللي بيظلم وبيفتري وبيتكبر على خلق الله، للي بيعصي ربنا ومش بيتوب للي بيعمل كل حاجة سيئة ربنا نهي عنها. ولكن كل إللي أقولهولك يا سامح إطمن، إطمن.

- وأنا جاهز يا أُميمة ودلوقتي، بس عرفت إزاي الرسول صلى الله عليه وسلم لمّا ربنا خيرُه بإنه يموت ولا يعيش لأبد الدهر، فكان إختيارُه الرفيق الأعلى، لأن إللي فوق أحسن بكتير أوي من إللي تحت.. بس يا ريتهم يفهموا ده، إللي فوق أحسن كتير أوي من إللي تحت، إللي فوق أحسن كتير أوي من إللي تحت.

ثم نظر سامح للسماء وهو يبستم بشدة رغم كل ما شَعر بِه من ألم آلمُه، ولكن شيئًا ما طمأنه وجعلُه لا يضجر لهذا الألم، بل ظل معلقًا بشئ ما هوَّن عليه وجعلُه مبتسمًا وتجمَّد كل شيء بِه وهو على ابتسامته.

*****

بينما حسن جالس يُلاعب ابنته إيمان التي تبتسم له ببراءة وصفاء، إذ بِه فجأة شعر بقبضة في قلبه شديدة وخفقان، وما أن حدث هذا نظر للأعلى والدموع تنهمر من عينيه قائلًا:

- سامح!! سامح!! بقى كلامك يتحقق يا صديقي؟ هو ده إللي اتفقنا عليه بالسرعة دي؟

ثم قام مُسرعًا إلى بنطالُه الذي يحوي بداخله الورقة التي قال له سامح اقرأها عندما تشعر بشيء ما، ثم أمسك الورقة بيديه وأخذ يقرأ ما كتبُه سامح له بخط يدُه:

صاحبي ما تزعلش عليّا ولا تحزن يوم ليا

ده أنا في مكان أحسن بكتير

إفتكر دايمًا ذكرياتنا وضحكنا وهمساتنا

وخلّي بالك دايمًا هكون شايفك

إوعى البُعد يكسر أملك

خلّي أملك بربنا كبير

سامحني يا خويا ويا كل إللي بتحبوني على التقصير

ده أنا مكنش بهمني إلا إني أشوفكم بخير

يا ريت في دعواتكم تفتكروني ولا يوم تنسوني

ده أنا عمري ما نسيت دعوة ليكم في سجدة

وأكيد بكرة هيكون أحلى

بس أنتم تحمدوا ربنا على إللي أنتم فيه

يا ريت في دعواتكم تفتكروني، ولا يوم تنسوني

ده أنا عمري ما نسيت دعوة ليكم في سجدة

صدقوني هتفرق كتير

ده في مكان الله وحدُه العالم بيه

وبتمنى تسامحوني وقولوا لأولادي يفتكروني

ويكونوا ليا حسنات كتير

ويا كل حد أنا عرفتُه يا ربت تسامحني على التقصير

ما هو أنا ما كُنتش ملاك

أنا إنسان يعني بشر وليا ذنوب كتير

ويا إللي في يوم حبيتك سامحيني إني يوم جافيتك

محدش بيعرف قيمة الإنسان إلا لما يفقُده..

وأنا للأسف فقدت كتير، وأنا للأسف فقدت كتير، وأنا للأسف فقدت كتير.

إمضاء وبصمة
ميّت ما زال حيًا
سامح الحسيني

لم يتمالك حسن نفسُه من سيل البكاء الذي انتابه وقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون .

****

رايحين على فين؟

الحكاية لسه ما انتهتش، إياكم تفتكروا إن إللي بيموت بينقطع؛ لاء ده بيكون عايش وسطكم وعارف كويس كل أخباركم وبيفرح وبيحزن ليكم، إتجهّزوا كويس أوي للي جاي، لأنكم هتشوفوا وتعرفوا وتعيشوا كل حاجة محجوبة عن العالم الآخر وما بعد فناء الحياة ويوم العرض، بس هتشوفها بعيون سامح الحسيني

أشوفكم على خير في الجزء الثاني من (ميت ما زال حيًّا ٢).

تمت بِحمد الله (٢٠١٨\١\٢٧)

وكانت يوم ميلادها وخروجها للنور يوم ٢٠١٩/١/٢٣

وحصلت على جائزة أُوسكار من شركة إيجيبت ميديا بمحافظة دمياط يوم ٢٠١٩/٢/١٤

وتم التنقيح بالرواية يوم ٢٠٢١/١/٢٩ للتجهيز للطبعة الرابعة

*****

ويشرفني تقولوا رأيكم على الجودريدز

www.goodreads.com

****

شكر خاص لأبطال روايتي الأعزاء وعلى رأسهم البطل إللي أنا شخصًيا إتأثرت بيه، خلّاني أضحك وأبكي حقيقي (سامح الحسيني)

وشكر خاص للبطل إللي علِّمني يعني إيه حب وإهتمام ووفاء وقلب طيب إنسان بجد

البطل (حسن)

شكر خاص جدًا لرفيقة حياتي زوجتي والتي آثرت كل شيء لتبقى بجانبي رغم كل ما تجرَّعتُه من معاناة معي ولا أنكر بل أشكرها من كل قلبي وأقول لها:

شكرًا على مساندتك ليَّا في أصعب أوقاتي، وإنتي تستاهلي الخير والحب كُلُه..

وشكر خاص جدًا

لكل مَن ساهم ولو بالتشجيع في هذا العمل

شكر خاص جدًا

لكل مَن أعطاني من وقتُه، وقرأ هذه الرواية

أسأل الله أن ينتفع بِها وأن تكون الرسالة قد وصلت....

وأتمنى لكم حياة حقيقية أفضل.

محمودكمال

للتواصل مع الكاتب:

صفحة الفيس بوك الشخصية: mahmoud kamal

https/m.facebook.com/mahmoudkamal2016

الصفحة العامة للكاتب : محمود كمال – Mahmoud kamal

https://www.facebook.com/Mahmoudkamal2018

صفحة اليوتيوب

محمود كمال – mahmoud kamal

https://www.youtube.com/channel/UCG1uBqLNgL6CwSnfnzbJfCw

من أعمال الكاتب

- **رواية ندى الحب الذي لا يموت ٢٠١٨.**
- **ميِّت ما زال حيًا وهي الرواية الحائزة على أوسكار ٢٠١٩ لأفضل رواية.**
- **أقدار مؤقتة ٢٠٢٠.**
- **ديوان خواطر آية ٢٠٢١.**

وأيضًا مقدم عدة برامج على اليوتيوب

- **برنامج الباشروائي**
- **برنامج التأشيرة (تأشيرة نجاح)**

مراجع دينية تم الرجوع إليها

١ – كتاب رحلة إلى الدار الآخرة للشيخ محمود المصري.

٢- كتاب الدار الآخرة للشيخ عُمر عبد الكافي.

٢- موقع موضوع ٣ دوت كوم

http://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%88%D9%84_%D9%84%D9%8A%D9%84%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A8%D8%B1)

٣- موقع موسوعة التابلسي

http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=7321&id=150&sid=739&ssid=768&sssid=769

٣- موقع الألوكة

/http://www.alukah.net/sharia/0/115170